التعليق على كتاب

# رشح البرد

شرح

# الأدب المفرد

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

# الجزء الثّاني

# اللّقاء الحادي عشر

الأحد: ١٩ جماد أول ١٤٤٢ هـ

## ٢٥- بَابُ وُجُوبِ وصِلَةِ الرَّحِمِ

٤٧- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْضَمُ ابْنُ عَمْرٍو الْحَنَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا كُلَيْبُ ابْنُ مَنْفَعَةَ قَالَ: قَالَ جَدِّي: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، وَمَوْلاَكَ الَّذِي يَلِي ذَاكَ، حَقٌّ وَاجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ).

السؤال في الحديث عن أخص الناس بالبر، والمقصود بالبر: الوصل، فرد عليه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالترتيب فبدأ (بالوالدين ثم بالأخت والأخ)، وهذا دليل على أن الشريعة تجعل الأسرة هي الأصل في العلاقات وهذا هو الشيء الطبيعي ولا يحتاج الأمر إلى نقاش، لكن مع الاتجاهات التفككية الفردية أصبحت هذه العلاقات مستغربة، والإنسان صار يعيش لنفسه، وأصبحت المشكلات التافهة التي تفرق بين العوائل لا يوجد حرص على تحاشيها، الإنسان الذي يتقي ربه يبدأ من أول الأمر يُطفئ أي نار تشتعل بينه وبين إخوته لا أن ينتظرها حتى تكبر فلا يستطيع الوصل بعد ذلك.

نخرج من الأسرة النواة وننتقل إلى الأسرة الممتدة (خالاتك وعماتك وأعمامك وأخوالك) كل هؤلاء، هذا ليس تفضلًا منك، عليك أن تعرف وجوب صلة الرحم فهذا ليس شيء زائد منك، ولا تتعذر فالناس اليوم أصبحت الصلة بينهم غاية في السهولة، لا تزد حتى تصل إلى المشاكل ولا تنقص بحيث أنك لا تصل الرحم، كن متوازنًا، واعرف طبيعة كل أحد، فهؤلاء حساسون لو سألتهم: ماذا فعلتم؟ يقولون: تتدخل فيما لا يعنيها، لو تركتيهم ولم تسأليهم يقولون: هذه تهملنا، فأنتِ توسطي واعرفي طبيعة الناس الذين حولك ولا تشعري أني قمت بما عليّ وهم لا يستجيبون فأنا أتركهم، هذا حق واجب، افعلي ما تستطيعين وتجنبي الدخول في النقاط الساخنة، دائمًا ابقي على الطريق الذي ليس فيه تدخل زائد ولا فيه إهمال وعدم المشاركة في الأفراح والأحزان، شارك كل شيء على قدر ما يسقط عنك الواجب وإذا وسع الله عليك وسع عليهم، هذه رحم الله أمرك بأن تصلها فيجب عليك هذا.

شرحُ الكلمات:

- حرف العطف (و): بمعنى ثم.
- مولاك: أي: قريبك أي: ذا القربى منك.
- رحم موصولة: أي: قرابة تجب صلتها ويحرم قطعها.

ليس أمر عائد لك باختيارك تفعله، هذا من الواجبات، وليُعلم أن قطع الأرحام إفساد في الأرض كما سيتبين في الباب الذي يليه.

فِقهُ الحديث:

١) إكرام ذوي القربى ليس على درجة واحدة، بل درجاتهم مختلفة.

٢) ترتيب الحقوق، ووضعها في مواضعها هو الأصل والعدل.

الأولى والثانية تعيدنا إلى مسألة مهمة وهي أن الشريعة ترشدك إلى فقه الأولويات، وترتب لك الأمور بهذه الصورة فأول من تهتم ببرهم أمك وأباك ثم بعد ذلك أختك وأخاك ثم بعد ذلك مولاك الذي يلي ذلك، وضع الأمور في مواضعها هو الأصل والعدل.

٣) الوصية لكل امرئ أن يقوم بالإحسان إلى جميع الأقارب حسب التوجيه النبوي -صلّى الله عليه وسلّم-: (الأقرب فالأقرب).

ليس الذين على هواك فقد لا يكون القريب على هواك لكن الأمر واجب، أنت تقوم بعبادة، المطلوب منك الإحسان إلى جميع الأقارب لكن على حسب التوجيه: (الأقرب فالأقرب)، ولا تظن أنه لا يوجد إشكالات ولا آلام ولا من يصدك، هم باب من أبواب الاختبارات، وسيأتي بعد أبواب قليلة (كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ)، وسيتبين أن هذا من أبواب الاختبارات فلا تظن أن الأرض ستكون مفروشة بالورد وأن الأصل أن يكون بينكم حب، قد يكون نصيبك أن يكونوا كلهم طيبين، وقد يكون مختلط بين أناس طيبين وأناس معرضين، وقد يكون نصيبك أن كلهم معرضين، حتى والديك يمكن أن يكونوا معرضين

عنك، قلبهم لا يحبك، يشعرون أنك ثقيل عليهم فأنت تدعو ربنا أن يجعلك خفيفًا على قلوبهم وأن يرشدك إلى ما يرضيهم.

من الممكن أن لا يحب الآباء أبناءهم، لا يستلطفوهم نتيجة تنافر في الطباع أو نتيجة مواقف ما أحسنوا فيها أو أسلوب في الكلام لا يناسبهم لكن ما للعبد إلا أن يسأل ربه أن يكفيه شر العقوق وأن يرشده إلى الإحسان، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

# اللّقاء الثّاني عشر

الاثنين: ٢٠ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نقوم بدراسة هذا الكتاب المبارك كتاب: (الادَب المُفرَد) ونقرأ هذا الشرح المبارك - رحم الله صاحبه- وهو المسمى: (رَشْ البَرَد؛ شَرَح الادَب المُفرَد)، وكنا بلغنا باب: (وُجُوبِ وصِلَةِ الرَّحِمِ)، وللتذكير نعود مرة أخرى لحديث (٤٧) ونتذاكر المفاهيم التي كانت فيه ثم ننتقل إلى الحديث التالي:

٤٧- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْضَمُ ابْنُ عَمْرٍو الْحَنَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا كُلَيْبُ ابْنُ مَنْفَعَةَ قَالَ: قَالَ جَدِّي: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: (أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، وَمَوْلاَكَ الَّذِي يَلِي ذَاكَ، حَقٌّ وَاجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ).

تبين لنا من هذا الحديث الشريف كيف أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لما سأله الرجل: (من أبر؟ ) بمعنى: من أقرب في البر؟ مَن مِن الخلق أبره، ومن أقرب من البر؟ فبين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن إكرام ذوي القربى ليس على درجة واحدة، بل درجاتهم ليست واحدة، وأن وصلهم وإكرامهم وصلتهم على حسب البعد والقرب من جهة نسبهم، وهذا على ما نعلم من طريقة الشريعة في أن الأمور مرتبة ترتيبًا أوليًا فلا يطلب منك بر البعيد ووصله قبل القريب، على ما نعلم من التوجيه النبوي: (الأقرب فالأقرب)، وهنا بين النبي -صلّى الله عليه وسلّم- تقديم الأم ثم الأب ثم الأخ والأخت والمولى الذي يليك قريب منك، وهكذا موالي الإنسان وأقربائه وأهل نصرته وأهل الاجتماع به، كل هؤلاء لهم حقوق علينا نبرهم ونتقرب إلى الله -عزّ وجلّ- بذلك، غاضين الطرف عن أي أذية يمكن أن تأتي للإنسان من وراء هذا البر.

ننتقل إلى الحديث التالي وهو يزيد في بيان معنى صلة الرحم:

٤٨- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ مُوسَى ابْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٤) قَامَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَنَادَى: (يَا بَنِي كَعْبِ ابْنِ لُؤَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهُمَا بِبِلاَلِهَا).

هذا حديث مشهور وقد خرج هذا الكلام العظيم من رسولنا الكريم الذي نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، لما نزلت عليه هذه الآية العظيمة لما أمر أن ينذر عشيرته الأقربين، هذه الكلمة التي تدل على أن الصلات لها مراتب، لكن...

لماذا أورد البخاري هذا الحديث في هذا الباب؟

نبدأ بقراءة شرح الكلمات ثم من خلال فقه الحديث يتبين لنا سبب إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب.

شرحُ الكلمات:

- أنقذوا: أخرجوا وخَلِّصوا.

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يكرر وينادي هذه البطون من قريش بأسمائها وهم ذوي قرابة له، فيناديهم بأسمائهم ويقول لهم: (أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ).

- سأبلُّها ببلالها: أي: أصلكم في الدنيا، ولا أغني عنكم من الله شيئًا، والبلال: جمع بَلَل، وقد استعير للوصل، كما أنَّ اليَبس يُستعمل للقطيعة.

بعد أن أنذرهم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأمرهم أن يطلبوا لنفسهم النجاة وأن يتخلصوا من عذاب الله بتقوى الله، أخبرهم أنه لا يملك لهم من الله شيئًا، وهذه هي حقيقة التوحيد: أن العبد يتوجه إلى الله ويطلب رضاه وحده، ويتخذ مسلك الرسول مسلكًا يتوصل به إلى رضا رب العالمين، مع علمه أن الله هو الذي يقصد بالعبادة، وهو الذي يطلب رضاه، وأن رسول الله -صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليمًا كثيرًا- وأن الرسول يتبع ويرغب في مسلكه لأنه يوصل إلى الله، لكن في نهاية الأمر لا يملك الرسول أو غيره لأي أحد من الله شيئًا، بل في حديث الشفاعة المشهور أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لا يستطيع أن يشفع مباشرة، بل يسجد أمام العرش كما هو معروف في الحديث ويثني على الله -عزّ وجلّ- بمحامد لا يعلمها في الدنيا، ثم يقال له: ( يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ)[1] .

ثم أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لا يشفع أبدًا ولا يطلب من الله الشفاعة للمشركين أبدًا؛ لأن هناك شرط للشفاعة، وهو أن يكون المشفوع له موحدًا، الله يأذن بالشفاعة لمن كان موحدًا؛ لذلك قال النبي لفاطمة رضي الله عنها: (فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا) أنقذي نفسك بأعمالك، بتوحيدك، بتوحيد الطلب والقصد بعد توحيد المعرفة والإثبات، يعني لا تطلبي ولا تسألي إلا الله، "فإني لا أملك لك من الله شيئًا" ألن تنفعهم القربى؟ فنبه النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهُمَا بِبِلالِهَا) معناها: أنه -صلّى الله عليه وسلّم- لن يقطعهم لكن هذا حقهم في الدنيا ولن ينفعهم في الآخرة. نرى فقه الحديث وإن شاء الله يزداد من ذلك البيان...

فِقهُ الحديث:

١) من معاني صلة الرحم إنذار الأقارب من النار وحثهم على الأعمال الصالحة لإنقاذهم من سخط الله وعذابه؛ لأن الجزاء يكون على أساس الإيمان والعمل الصالح ولا تنفع القرابة والنسب في يوم تشخص فيه الأبصار.

---

(١) أخرجه مسلم: (١٩٣).

هذا جواب سؤال لماذا أورد البخاري هذا الحديث في باب وجوب صلة الرحم؟ من معاني صلة الرحم إنذار الأقارب من النار وحثهم على الأعمال الصالحة بكل الطرق الممكنة؛ لأنقاذهم من سخط الله وعذابه، نحثهم على التوحيد والإيمان، وهذا كله يحتاج منا أن نكون مشغولين بهذه المسألة، مهتمين بها، راغبين في نشر الحق بينهم فنغتنم كل فرصة، بل ونصنع الفرص ما استطعنا لذلك سبيلًا لأجل أن نكون واصلين للرحم.

٢) ردُّ العقيدة الفاسدة التي شاعت بين الجهلة والمبتدعين أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يكون شفيعًا وخير وسيلة عند الله تعالى، وبهذه الوسيلة ندخل الجنة ولا نحتاج إلى الأعمال والعبادات.

وهذا من ضمن ما تناقشنا به قريبًا لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا) لكن كثير من الطرق الخُرافية التي انتشرت في العالم الإسلامي اتخذت علاقتنا بالرسول -صلّى الله عليه وسلّم- مطية لكي ينتشر الشرك وهم يرون أنفسهم أنهم أهل التوحيد، حاملو الدين، والمعتنون به، وهم في الحقيقة مشركون! وهذا لا يعني أننا سنواجههم بكلمة الشرك فهذه مسألة أخرى ولها بابها، المهم أن نعرف أن هؤلاء الجهلة تعلقوا بثناء الله -عزّ وجلّ- على رسوله وبالأحاديث الدالة على شفاعة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- دون تصور أن هذه الشفاعة لها شروطها وأحكامها، فقالوا: يشفع النبيّ لكل من أحب النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لذلك يضخوا دائمًا الكلام عن محبة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- دون الكلام عن ما هي الطريقة الصحيحة التي تظهر بها محبة النبيّ، أليس هو الاتباع وأن يكون النبي ملء الفؤاد والسمع والبصر؟!

البلاد والعباد ما جاءهم البلاء إلا من وراء نشر الشرك، نعوذ بالله من الشرك، نسأل الله أن يحيينا نحن وذرياتنا وجميع المسلمين ويميتنا موحدين اللهم آمين.

٣) أول ما يجب على الداعي إنذار أهله ثم عشيرته ثم الذين يلونهم.

هذا واضح جدًا من الحديث الأول: "الترتيب". النبي -صلّى الله عليه وسلّم- نادى بطون قريش ذوي القرابة به أولًا قبل أي أحد ثم انتقل لمن بعدهم ولمن بعدهم.

خرجنا بنتيجة: أن صلة الأرحام واجبة.

## ٢٦- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ

٤٩- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ عُثْمَانَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى ابْنَ طَلْحَةَ يَذْكُرُ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- فِي مَسِيرِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: (تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ).

هذا الباب سماه البخاري باب: (صِلَةِ الرَّحِمِ)، وهذا الاسم يشابه اسم الباب الماضي وهو باب: (وُجُوبِ وصِلَةِ الرَّحِمِ)، سنرى إن شاء الله مزيد البيان في هذا الباب.

في الحديث أن أعرابيًا طلب من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بأن يخبره بأمر جامع يقربه من الجنة ويبعده عن النار، فأمره بالتوحيد، الذي هو أساس الدين، وأمره بالصلاة والزكاة وهما شعار الدين، فهما رأس الأمر في الأعمال البدنية والتوحيد رأس الأمر بالأعمال الاعتقادية، ثم أمره بوصل الرحم إشارة إلى أن عقيدة المرء السليمة وقيامه بالأعمال من الصلاة والزكاة يلحقه مباشرة القيام بصلة الرحم، وهذا يدل على منزلة صلة الرحم في الإسلام.

شرحُ الكلمات:

- تقيم الصلاة: تُعدِّل أركانها وتؤديها في أوقاتها مع الجماعة بخشوع وخضوع.
- تصل الرحم: أي: تُحسن إلى أقاربك وتُواسي ذوي القرابة في الخيرات.

بين أن وصل الرحم بالإحسان، والرحم الأقرباء، فالشارح -رحمه الله- بين أن وصل الرحم بمعنى الإحسان وبمعنى المواساة وخصوصًا في الأزمنة التي يكون فيها الأزمات والضيق، فأنت تُفتش عمن يحتاج إلى المواساة، الإحسان عام للجميع وهناك من يحتاج أن تواسيه بمالك أو بوجودك بجانبه في وقت أزمته أو بوجود خدمات تقدمها له، وهذا أمر لا علاقة له بأن يُعطى الأقرباء ما لا حق لهم، إنما المقصود أن يكون عندك من الخبرة والعلم ما تقضي حاجتهم فتُيسر الأمور التي هم بحاجة لقضائها.

فِقهُ الحديث:

١) حرص الصحابة على معرفة الأعمال الموجبة للجنة والمبعدة عن النار.

هذا واضح من خلال سؤال الصحابي، الأعرابي الذي سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم، فالمصير والغاية تامة الوضوح عندهم فهم يختصرون ويصلون إلى سؤال كيف أصل إلى هذا الأمر العظيم؟

٢) التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصلة الرحم من الأعمال التي تُنير طريق الجنة وتُبعد عن النار، هذا كما هو متبين في أثناء شرح الحديث.

٣) السؤال هو وسيلة لطلب العلم وازدهاره.

استنتج هذا من خلال سؤال الأعرابي.

٤) أهمية صلة الرحم.

في الباب السابق ظهر وجوب صلة الرحم، وفي هذا الباب بين أن قرين التوحيد والصلاة والزكاة صلة الرحم، ولو فكرنا نجد أن الأعمال تنتهي أن تكون في هذه الأمور، كأن هذه هي الخطة اليومية التي تعيشها بغض النظر عن الشيء الطارئ مثل صيام رمضان وحج البيت والجهاد في أوقات معينة، لكن كل يوم لا بد أن تزداد يقينًا بحق الله في التوحيد وبكمال الله وعظمته، ولا بد أن تزداد حرصًا على إقامة الصلاة والإنفاق، ولا بد أن يكون لك نصيب من صلة الأرحام، كون هذا يُدخل الجنة اجعلها كأنها الخطة اليومية التي تسعى فيها.

٥٠- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلاَلٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ! قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ). ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (محمد: ٢٢).

هذا الحديث فيه من أخبار الغيب ما لا بد من الكلام عنه بشيء من التفصيل فسنناقش الموضوع بصورة عامة ثم نبدأ به في اللّقاء القادم وخصوصًا أن هذا الأمر متصل من جهة بشأن غيبي عظيم أتت الأخبار عنه، ومن جهة أخرى أنه متصل بمسألة الإفساد في الأرض.

لكي نتصور عِظم مسألة صلة الرحم وأنها ليست أمرًا ثانويًا، أو على ما تشتهي أو كما تظن أنها تكميلية، في الحديث السابق كانت مع التوحيد والصلاة والزكاة، وهنا موقف عظيم قد حصل في بدء الخلق سنحاسب عنه بعد ذلك في يوم القيامة؛ لأنه نتيجة هذا الخبر الذي في الحديث الله -عزّ وجلّ- سيصل من وصل الرحم وسيقطع من

قطع الرحم، وفي الحديث السابق لما سأل الأعرابي عن أسباب دخول الجنة كانت صلة الرحم من ذلك.

فهذا يدل على أن الأمر ليس يسيرًا وأنه مسؤولية وأن علينا أن نسعى سعيًا حثيثًا في أن نحقق هذا الأمر ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا خصوصًا مع وجود الوسائل اليوم التي تسهل مسألة وصل الرحم.

نقرأ شرحُ الكلمات وفِقه الحديث وإن شاء الله نستفتح في اللّقاء القادم بيان هذا الخبر العظيم...

شرحُ الكلمات:

- قامت الرَّحِم: يحتمل أن يكون على الحقيقة ويجوز أن يكون على حذف أي: قام مَلَك فتكلم على لسانها.
- مه: هو اسم فعل معناه الزجر أي: اكفُف.
- هذا مقام العائذ بك: الإشارة إلى المقام أي: قيامي في هذا مقامُ العائذ بك.
- العائذ بك: الملتجئ إليك والمستعين بك.

فِقهُ الحديث:

١) التأكيد على حرمة قطيعة الرَّحم والإعراض عنها.

٢) صلة الرحم سبب رحمة الله لعباده وقطيعتها سبب الفساد والإفساد.

الحديث فيه تأكيد على مسألة صلة الرحم وأنها سبب لرحمة الله، فمن أراد أن تتنزل عليه الرحمات فليصل رحمه، والذي يمكن أن يكون أمرًا ملفتًا للنظر أن سبب كثير من الفساد الواقع في الأرض هو قطع الأرحام.

مثلًا: الجائحة التي نعيش فيها دائمًا نقول: أسبابها المعاصي! لكن من أعظم المعاصي المتداولة، بعد الشرك وترك الأركان، هي: (قطيعة الرحم) والله يعيذنا أصبح يندر أن

تجد بيتًا واصلًا تمامًا وهادئًا تمامًا، تخرج إشكاليات من هنا وهنا ما تجعل الناس يقطعون أرحامهم، وعلينا تخطي هذه الأمور ومعرفة أن قطيعة الرحم من الفساد في الأرض وإن شاء الله نزيد في ذلك.

٣) الاستعاذة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له.

لأن الاستعاذة عبادة وهي: طلب أن يجار الإنسان من شيء يخافه أو لا يقبله ويرفضه. فهي عبادة لا تُطلب إلا من الله؛ لذلك نقول نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، نعوذ بالله من الشيطان، نعوذ بالله من الكسل، فكل شيء نريد إبعاده عن أنفسنا نطلب من الله أن يبعده؛ لأنه مالك الملك وهو مدبر الأمور، وهذا كائن من الرحم، وسيتبين كيف الرحم كرهت القطع فاستعاذت بالله -عزّ وجلّ- من أن تُقطع.

في لقائنا القادم سيكون هناك مزيد بيان ومزيد إيمان بهذا الخبر الغيبي.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء الثّالث عشر

الثلاثاء: ٢١ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى الذين تأدبوا بأدب الشريعة فرفعهم هذا الأدب درجات وقربهم قربات من الرحمن سبحانه وتعالى.

كُنا نُناقش موضوع (صلة الرَّحم) وأهميته من خلال الأحاديث التي أوردها البخاري -رحمه الله- في كتاب: (الادَب المُفرَد)، وها نحن في هذا الباب الذي عنوانه باب: (صِلَةِ الرَّحِمِ)، وقد وصلنا إلى الحديث العظيم الذي فيه خبر غيبي لا بد من الإيمان به، فنسمع الحديث ثم نبدأ النقاش:

٥٠- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلاَلٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ! قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ). ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (محمد: ٢٢).

هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة فيه بيان ضرورة صلة الرَّحم وما يترتب على قطعها والتفريط في حقوقها، والرحم هي: القرابة وهي مشتقة من الرحمة، وفي الحديث أخبر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن الله تعالى بعدما خلق الخلق قامت الرَّحم، وقامت هنا معناها: أنها أُعطيت قدرة على أن تقوم وأن تتكلم -وإن شاء الله يأتينا مزيد بيان لهذا المعنى- هي قامت مقبلة مستجيرة بالله، فقال لها الله: (مَهْ!) أي: كفّي وانزجري عن هذا. فقالت الرَّحم: (هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ) أي: قيامي هذا قيام المستجير بك من القطيعة، معنى ذلك أن الرَّحم استعاذت بالله من أن تُقطع، الله أخبر الرَّحم أنه

-سبحانه وتعالى- سيصل من وصل رحمه وسيقطع من قطع رحمه، وهنا استشهد أبو هريرة -رضي الله عنه- بهذه الآية.

قبل أن نصل إلى هذه الآية سنعود للكلام عن الرَّحم ونفهم كيف كانت هذه الحال منها، ونفهم ماذا تكون عقيدتنا في مثل هذه الأمور؟

لما نأتي لحديث مثل قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ)، هذا حديث رواه مسلم أيضًا، فكأن هذه هي النتيجة، أن الرَّحم أصبحت معلقة بالعرش بعدما استعاذت بالله من القاطعين، وأخبرها رب العالمين بأنه سيقطع القاطعين فبقيت معلقة بالعرش تقول هذا القول.

ممكن أن يقول أحد: كيف للرحم وهي (معنى) أن تتكلم؟ تجسدت وتعلقت وتكلمت في هذا الموقف !! نحن نقول: لا استحالة في ذلك فالله قادر على أن يجعل المعاني أجسادًا، ويوم القيامة يتحول الثواب إلى جسد، وثواب البقرة وآل عمران يأتي على هيئة غمامتين تُحاجَّان عن صاحبهما، والموت يأتي على هيئة كبش، فقامت الرَّحم وقالت حقيقة؛ لأنه في الحديث أيضًا أنه: (تُوضَعُ الرَّحِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا حُجْنَةٌ كَحُجْنَةِ الْمِغْزَلِ، تَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ، فَتَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا، وَتَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا)[٢]، (كَحُجْنَةِ الْمِغْزَلِ): السنارة التي تكون معوجّة في البداية، (تَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ): أي: فصيح، لا مانع أن تكون الرّحم معنى لكن تتجسد وتنطق، بما أن الخبر أتى بذلك فنحن نؤمن ونسلم، حتى لا يكون هناك إشكال في هذا المعنى أبدًا.

يبقى علينا أن نفهم العلاقة بين الإفساد وبين صلة الرَّحم، هذه الآية في سورة محمد وهي قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الارْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}، ومعنى {تَوَلَّيْتُمْ}: أعرضتم عما أنزل الله، وفارقتم أحكام كتابه التي نزلت من أجل أن تستقيموا على الصراط المستقيم، وخالفتم رسوله، معنى ذلك أن ترك دين الله أول آثاره هو: الإفساد في الأرض بتقطيع الأرحام.

---

(٢) رواه أحمد والطبراني.

ونتصور المسألة بالعكس؛ الله جمع أهل الإسلام بالإسلام وألف بين قلوبهم وأمرهم بالإصلاح في الأرض بأن يكونوا جماعة واحدة غير متفرقين، أمرهم بصلة الأرحام وبالإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال، وأمرهم ببذل الأموال، كل هذا من منة الله -عزّ وجلّ- على أهل الإسلام أن جعل من دينهم ومما يؤجرون عليه أن يصلوا أرحامهم الذين في القلب لا بد أن يكون الاعتزاز بهم والاعتزاز بالصلة بهم، فهم عزوة المرء -كما نعبر- لكن أتت هذه الآية بطريقة الاستفهام الذي فيه استنكار، وخصوصًا لو لاحظنا أن هذه الآية أتت في سياق الكلام عن المنافقين: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ} (محمد: ٢٠)، ما هو الأولى لهم؟ {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} (محمد: ٢١)، يعني المفروض أنه بدلًا أن يأتيكم الهلع عند ذكر القتال، المفروض أن تجمعوا قلبكم لتأتيكم الشجاعة، إذا جد أمر القتال ظهرت حقائق الخلق، وسورة محمد سورة القتال.

الحقيقة أن هؤلاء لو صدقوا لكان خيرًا لهم، لكن ما حصل أنهم صدقوا ولا عزموا على الصدق، ما الذي حصل منهم وهم كانوا يقولون: (والله ما ندري علامَ نقتُل أنفسنا هاهنا أيُّها الناس؟)، وهذا كان في غزوة أحد التي حصل فيها من المسلمين ما حصل لهم، لو كانوا صادقين لكان خيرًا لهم، لكنهم كانوا ينوون أن يتولوا ويتركوا الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ويتركوا نصرة الدين، وأتى الاستفهام والاستنكار عليهم وأنهم لو تولوا لن يكون إلا الإفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، فسيحصل منكم التولي وقطيعة الرَّحم الذي هو عين الفساد.

المطلوب فهمه في هذا السياق: أن من أفسد الفساد أن يتولى الإنسان عن الدين فيكون أثر التولي عن الدين: قسوة قلبه، وإذا قسى قلبه لن يكون له فعل إلا الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام، فإما الإيمان والإقبال على دين الله ومن ثم الصلاح والوصل، وإما الإعراض عن دين الله ومن ثم الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام.

في الواقع كلما رأينا الناس غير حريصين على وصل أرحامهم، وأنت في موقف تحاول وصل الرَّحم وهم يحاولون قطعة فلا بد أن يكون هذا علامة على قسوة القلب؛ لأن مَن في قلبه رحمة أول آثار الرحمة ستكون رحمة الأرحام والشفقة عليهم.

٥١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا...} الآية (الإسراء: ٢٦) قَالَ: (بَدَأَ فَأَمَرَهُ بِأَوْجَبِ الْحُقُوقِ، وَدَلَّهُ عَلَى أَفْضَلِ الأَعْمَالِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَقَالَ: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ}، وَعَلَّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ كَيْفَ يَقُولُ، فَقَالَ: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا} (الإسراء: ٢٨) عِدَّةً حَسَنَةً كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} لاَ تُعْطِي شَيْئًا: {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} تُعْطِي مَا عِنْدَكَ: {فَتَقْعُدَ مَلُومًا} يَلُومُكَ مَنْ يَأْتِيكَ بَعْدُ، وَلاَ يَجِدُ عِنْدَكَ شَيْئًا: {مَحْسُورًا} (الإسراء: ٢٩) قَالَ: قَدْ حَسَّرَكَ مَنْ قَدْ أَعْطَيْتَهُ).

هذا كلام ابن عباس تعليقًا على آيات سورة الإسراء، التي هي مجموعة وصايا ابتدأت بالتوحيد واعتنت بالرحمة وسيتبين كيف أن الرحمة تبدأ بالوالدين ثم يأتي الكلام عن ذوي القربى والإحسان إليهم.

في آيات سورة الإسراء: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} وفيها: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} (الآية: ٢٣)، وفيها: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (الآية: ٢٤)، الرحمة ظاهرة جدًا في الأوامر وفي العلاقات، فهم أولو الأرحام والرحمة واجبة لهم، كما أنها واجبة لجميع الخلق (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)[٣] لذا الله -عزّ وجلّ- يختبر الناس بالسلطة، ليُختبر فيهم الرحمة.

الوالدين كانوا أهل سلطة على أبنائهم ووضع الله في قلوبهم الرحمة، والأبناء يأتي الوقت الذي يكونوا بوالديهم رحماء، ومن الضروري التنبيه على هذا المعنى وبقاءه

(٣) صححه الألباني.

ظاهرًا؛ لأن الحياة كلها بدون رحمة لا تكون، حتى والناس ينفذون القانون لا بد أن تكون الرحمة حليفهم، في هذا السياق قال الله -عزّ وجلّ-: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} فنقل البخاري -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- تعليقه على هذه الآية، قَالَ: (بَدَأَ فَأَمَرَهُ بِأَوْجَبِ الْحُقُوقِ، وَدَلَّهُ عَلَى أَفْضَلِ الاعْمَالِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ) بعد التوحيد وبعد الوالدين يأتي الأمر بحقوق الأرحام، أفضل الأعمال إذا كان عندك مال أن تؤتي من صلته وحسن المعاشرة له واجبة، بدأ فأمره بأوجب الحقوق بعد حق الله وحق الوالدين وهو حق ذوي القربى، صلتهم وحسن معاشرتهم والبر بهم بالإنفاق، فكل أحد له قرابة بك له حق عليك، خاصة لو كان مسكينًا، وضعيف وفي حاجة، إن كان الفقير من الأقارب ستكون صدقة وصلة، وإذا كان من الأباعد ستكون صدقة، وأيضًا أعن ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع، وقوه على قطع سفره وأضفه واحمل معه وكن معينًا له فإن كل ذلك من حقه، وسنلحظ أن الجاهلية كانت تبذل من أجل هذه الحقوق فتنحر إبلها لأجل هذه الحقوق وإن كان هناك تبذير في الأموال من أجل الفخر والسمعة والعلو على الناس فأمر الله بالنفقة في وجوهها مع الإخلاص، الذي هو التوحيد ولذا أتى في نهاية الآية: {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} (الإسراء: ٢٦-٢٧)، هذا لما يكون عنده شيء، فَقَالَ: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ}، هذا كلام ابن عباس: (وَعَلَّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ كَيْفَ يَقُولُ، فَقَالَ: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا}) وإن أنت أعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حياءً من الرد، تنتظر رزقًا من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيهم فلا تقس عليهم في الكلام وقل لهم قولًا لينًا سهلًا وعدهم وعدًا جميلًا، تقول: إذا أتانا رزق إن شاء الله نعطيكم، وربنا يرزقنا ويوسع علينا، في هذه الآية الأمر بالقول اللين عند عدم وجود ما يعطى منه، فلا تجعل حياءك يؤدي إلى الغضب، (عِدَّةً حَسَنَةً كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)، ثم قال -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}، يقول ابن عباس: (لا تُعْطِي شَيْئًا) يعني: لا تكن ممسكًا يدك عن العطية لمن له حق وقد اخبرك -سبحانه وتعالى- عن حقوقهم بمنزلة المشدودة يده إلى عنقه فلا يستطيع أن يأخذ ولا يعطي، ({وَلَا

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} تُعْطِي مَا عِنْدَكَ) بالتبذير والسرف فتعطي غير طاقتك وتخرج أكثر من دخلك، ({فَتَقْعُدَ مَلُومًا} يَلُومُكَ مَنْ يَأْتِيكَ بَعْدُ، وَلا يَجِدُ عِنْدَكَ شَيْئًا) مثلًا: صببت هذا المال على أحد معين، ({مَحْسُورًا} قَالَ: قَدْ حَسَّرَكَ مَنْ قَدْ أَعْطَيْتَهُ) يعني نادمًا، بسبب أنك بسطت يدك كل البسط وأتت مواقف كانت فيها الحاجة أشد.

كلام ابن عباس -رضي الله عنه- يزيدنا في فهم مكانة صلة الأرحام والطريقة التي نصل بها رحمنا، وزادت بيانًا في أن كل ميسور يصل رحمه بالعطاء، وكل معسر يصل رحمه بالكلام الطيب والوعود الصادقة ولا يجعل ضيق المال في يده يضيق أخلاقه - والله المستعان- وكلما زادت الأمور ضيقًا كلما زاد الطلب من رب العالمين؛ ولذا: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا} فأنت عندما تكون في ضيق المفترض أن تبتغي الرحمة من الله وتتمنى المال وترجو من الله -عزّ وجلّ- أن يرزقك مالًا لتوسع على من يحتاج.

شرحُ الكلمات:

- ذا القربى: هو قريب الإنسان من جهة أبيه وأمه.

وقد مر معنا الكلام عن القرابة والأرحام.

- وإما تعرضنَّ عنهم: أي: عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل.
- ابتغاء رحمة من ربّك: أي: بطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه.

تكون مثلًا: تعرف أن في نهاية الشهر سيأتيك مال أو نتيجة هذه الصفقة سيأتيك مال، أو فلان سيُهديك، فأنت تنتظر رحمة الله لكن وقتما طلبوا ما كان معك ما تعطيهم، عندما يضيق عليك الأمر بهذه الطريقة؛ قل لهم قولًا ميسورًا.

- قولًا ميسورًا: أي: عِدْهم وعدًا حسنًا كأن تقول لهم: إذا جاءنا الرزق أعطيناكم. تعِدهم وأنت صادق في أن تُعطيهم، وأنت واثق في رب العالمين أن يفرج عليك.
- محسورًا: منقطع النفقة والتصرف.

فهمنا معنى أن تكون أتته الحسرة والحزن على أنه في الوقت الذي يحتاج فيه الإنفاق الحقيقي لم يجد.

فِقهُ الحديث:

١) يوصي الله عباده بصلة قراباتهم وأرحامهم.

٢) أمر الله النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل، وهو أمر لكل فرد من أفراد أمته.

الآيات فيها وصايا للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهي في نفس الوقت وصايا لكل الأمة، فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا من أتباع رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء الرّابع عشر

الأربعاء: ٢٢ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن تمسك بحبل السنة تمسك النجاة عندما يكون الناس في الهلاك، تمسكًا يجعله ثابتًا على الصراط المستقيم بالغًا لمراضي رب العالمين اللهم آمين.

نحن لا زلنا نتدارس في كتاب: (الادَب المُفرَد) للبخاري -رحمه الله- ونقرأ الشرح المسمى: (رَشُ البَرَد) لمؤلفه الشيخ: محمد لقمان السلفي -رحمه الله- وقد وصلنا إلى باب: (فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ)، لا زلنا في نفس موضوع: حقوق الخلق، فهي أول الأمور التي عليك أن تلتزم بها بعد التوحيد؛ لذلك الخلق بين حق الله وحق الخلق، كل إنسان لينجو عليه أن يقوم بحق الله وبحق الخلق، سنجد أن البخاري -رحمه الله- يعقد الأبواب بهذه الأسماء؛ باب: (وُجُوبِ وصِلَةِ الرَّحِمِ)، ثم باب: (صِلَةِ الرَّحِمِ)، ثم باب: (فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ) ..

## ٢٧- بَابُ فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ

٥٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، قَالَ: (لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ).

شرحُ الكلمات:

- قرابة: ذوو قرابة.
- ويجهلون عليَّ: بالسب والجفاء.
- وأحلم عنهم: أتحمل وأتصفح.
- المَلّ: بفتح الميم، الرماد الحارّ.
- تُسفهم: تطرح لهم كأنما تطعمهم وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.
- ظهير عليهم: معين لك ويدفع عنك أذاهم.

هذا رجل أتى للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- يشتكي حالًا من قرابته، هو يصلهم ويقطعونه، وكأنه أراد بالوصل أنه يأتي إليهم ويُقبل عليهم ويُحسن إليهم ويبرهم ويفي بحقهم وهم على العكس؛ يسيؤون إليه ويجورون عليه ويجفون عنه، وهو يحلم عليهم وهم يرون هذا الحلم عليهم ضعفًا منه! وهو يعفو ويتحمل ويتجاهل ويعتبر الذي حصل كأنه ما حصل ويتعامل مع كل يوم بيومه فيغلق الملفات القديمة، وأي شيء يحصل اليوم غدًا لا يعاتب عليه، هذا كله في حقوقه وليس في حق الله، العفو والتحمل يعني أنه لا يُحاسِب ولا يُعاتِب ويقبل عليهم اليوم كأن أمس لم يحصل منهم شيء، وهذا من خُلق المؤمن، أنه يعامل بالذات قرابته بهذه الصورة، أما من يحقد ويحمل ويُذكِر الثاني بأمور حصلت من عشر وعشرين سنة هذا نفسه لا تتحمل الصلة، لكن هم كلما أتاهم ناسِ أمسه ويكون ولد يومه، هم في المقابل يجهلون عليه ويسبونه ويغضبونه ويستفزونه، والإنسان له طاقة سيصل إلى حد معين ويتوقف في العطاء ويصبح وصلهم كالهم، فأتى يشتكي إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وشكواه تدل على أنه محبٌ للوصل، وأن هذا الباب بالنسبة له باب مفتوح ونِعم العبد الذي يكون مفتوح له ومنشرح الصدر بالنسبة لصلة الأرحام؛ لأن ليس كل شخص يكون صدره منشرح لصلة الأرحام، فهناك أشخاص صدورهم مغلقة ويخرجون بألف عذر حتى لا يصلون أرحامهم، وربما

حتى جعلوا التدين سببًا لقطع أرحامهم، وهذا عذر غير مقبول، بل كلما زاد الإنسان حبًا لرب العالمين عرف أن الرَّحم قد تعلقت بالعرش، والله -عزّ وجلّ- قد وعدها أن يصل من يصلها ويقطع من قطعها، ولنعرف كم هذه الشريعة عظيمة أن الله جعل على وصل الرَّحم بركات، وجعل وصل الرحم يسبب سعة في الأرزاق، وكلما صدق الإنسان كلما عامله الله -عزّ وجلّ- بالخير أكثر وأكثر.

وهنا يأتي أمر دائمًا يفقد الناس -وخصوصًا المستقيمات- فيه التوازن، أن هنا منكرات ولو ذهبت عندهم سأتعرض لمنكر ..!

أولًا: عامل ربنا أنك ترغب في صلة الأرحام، ليس أن ما في قلبي أصلًا ميل إلى صلة الرحم، وهم أهل منكرات فصار هناك عذر شرعي لقطعهم، حتى لو كانوا أصحاب منكرات ليس عذرًا شرعيًا لقطعهم، فهناك ألف طريقة للوصل، خصوصًا اليوم، طُرق الوصل عظيمة -الحمد لله- وكلما تباسطت معهم في الأوقات التي ليس فيها منكرات كلما بدؤوا هم يتنازلون عن منكراتهم، لكن لا تعرف كم لتصرُفنا هذا من أثر يُفسر على أنه كبر! قد لا يكون في نظرك أنه كبر لكنهم يفسرونه أنه كبر، وأحيانًا قد يصح أنك ترى في نظرك أنك خير منهم وكأن قلبك ملكك، وكأنك واثق أنك مستمر على هذا الطريق! من قال لك؟! وكم أحد تعامل بغطرسة مع أهل المعاصي فابتُلي بنفسه.

فالنصيحة المبذولة هنا أن نجعل صلة الأرحام هدف ومقصد وغاية لنا بعد توحيد الله والصلاة، وإذا كنا أصحاب أموال والزكاة، يصل بنا هذا المقصد أن نقول في سجودنا: يا رب اجعلنا من واصلي الرَّحم ولا تجعلنا من قاطعي الرَّحم الذين يفسدون في الأرض، يا رب سخر لنا الأسباب لصلة أرحامنا واغفر لنا التقصير، والله يغفر لنا التقصير، والبذل بكل ما تستطيعه من مال وهدايا ووصل شهري لمن يحتاج، وتتحمل عنهم ما يحتاجونه وتدخل عليهم السرور.

ولا تظن أن الوصل الزيارة بعد الزيارة، فالزيارة نوع من الوصل، لكن هناك أناس الوصل لهم أن تدفع لهم كهرباء منزلهم مثلًا، أو تشتري هذا لمنزلك وهذا لبيت فلان وهذا لبيت فلان، أما من يكون رحمهم جيرانهم ولا يفعلون معهم هذا الفعل فقد

خسروا بابًا عظيمًا؛ لأنك أصلًا وهم جيران بدون أن يكونوا أرحام عليك أن تفكر أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمر أبو ذر -رضي الله عنه- أن يكثر مرق طبخه ليطعم جاره، -والحمد لله- نحن موسع علينا من كل باب، ولا تستحي من اللقمة واللقمتين، بدأنا نشعر أننا إذا لم نعطهم ما يُشبع فلن نفعل! وهذا خطأ، هذا يدل على أنك لا تنسيهم، وتشعرين أنك متضايقة أنك أكلتِ وهم لم يأكلوا من هذه اللقمة، وهذا يحصل، وأقربائك حتى لو لم يكونوا على هواك فأحبهم في الله، فأعطِ هذا وهذا، وادعُ الله أن يجمع بيننا وبين أرحامنا ويجعل وصلهم سببًا لرفع درجاتنا.

لكن نتصور أن هذا الرجل لأنه يحب صلة أرحامه أتى يسأل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ولو كنا نحن لأخذنا قرار أنهم لا يستحقون وأنهم بدؤوا بالقطع، وأنا لا آتي على نفسي وكرامتي، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- من تمام العدل قال أولًا: (لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ) من الأوصاف الجميلة وصحيح أن هذه أوصافك وهذه أوصافهم؛ لأن المشتكي يخرج نفسه أنه في أحسن حال ويذُم من أمامه خصوصًا مع الأقارب والأرحام، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- تحرز عن الظلم وأثبت لنا طريق العدل، إذا كان الحال كما تقول: (كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ) كأنك تطعمهم الرماد الحار، وفي هذا تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، فأكيد سيأتي ألم في فمهم فكأن هذا مثل هذا.

معنى ذلك أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أراد من الرجل الاستمرار والبقاء على هذا الحال ولا يتغير، كأنه يقال: الأعظم من الألم الذي يحصل لهم، أن تستمر على حالك، لكن لو انقطعت يكونون وصلوا لما يريدون فوقع لهم هم وللشيطان الانتصار، فأنت لا تجعل الشيطان ينتصر وهم يغيظونك، فهم يغتاظون عندما تستمر وعندما تنقطع يفرحون.

وأعظم من هذا: (وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ) لا يزال معك من عند الله ظهير ومعين لك عليهم ودافع عنك أذاهم (مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) يعني ما دمت على إحسانك وإساءتهم، نرجو الله أن لا نُبتلى من ذوي القربى بمثل هذه الحالة، نرجو من الله أن يجعل وصلنا لرحمنا في عافية، لكن إذا ابتلي الإنسان بمثل هذه الأحوال فعليه بالصبر

على الأذى، وعمومًا هذا النص فيه حثّ على الصبر على الأذى خصوصًا من الأقارب، ولتعلم أنك حين تصبر على الأذى يكون حالك في الصبر على أذى الناس، أن لك معين من المولى -سبحانه وتعالى- فإذا قابلت الإساءة بالإحسان مع أقاربك أو غيرهم؛ تكون لك إعانة من الله، وهذه بشرى، لكن لا تجعل الشيطان يفسد عليك هذه النعمة واعتبر نفسك كما وصف النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في حديثه الشريف وأورده البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق: (كُنْ فِي الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ) الناس الذين نسير معهم فترة من الزمن ونمر عليهم، ولا يبقى منك أو منهم إلا الشيء القليل، ما يبقى إلا ذكرى فلا تكدر الذكريات واجعلها مباركات طيبات.

وننصح أنفسنا بأمر في غاية الأهمية: قبل أي اجتماع عائلي علينا بالتوسل والابتهال إلى الله أن يكون هذا الاجتماع مبارك وأن يدخل الله السرور على قلوب الحاضرين من أكبرهم إلى أصغرهم، وتدعو دعاء المستغيث الذي يريد أن يكون في سلامة من أمره لأن النار تأتي من مستصغر الشرر، والمشاكل الصغيرة التي تؤدي إلى المقاطعات، وفي المناسبات السعيدة لا نستطيع أن نجتمع، وهذا أكثر ما يحزن، أن يكون زفاف ابنها مثلًا وهي لا تستطيع أن تدعو عماته! وهذا زواج ابنته لكنه لا يستطيع أن يدعو أخواته أو أخوال البنت لأنه في السنة الفلانية قال وعاد، وأمور مُحزنة، ويذكر أن خال ابنته في ذاك الموقف لم يسلم عليه! وأصبحت عصبية ويجمع أولاده ويقول: لو كلمتم هذا أو قلتم لذاك؛ لقاطعتكم! وكل هذا من مستصغر الشرر، وبسبب المادية حتى المستقيمين في العوائل أصبحوا سلبيين لأن ما عندهم (قيمة صلة الرَّحم)، فمثلًا تذهبين لأرحامك وترين أطفال ما شاء الله كثر، ومساكين يطردون من المجالس، فإذا ذهبت وأنت لا تريد الخوض في كلام الكبار، عندك مئة اختراع تفعلها مع الصغار وتعمل لهم برامج، فتكون رسمت في مخيلة هؤلاء من الذاكرة ما تكون ذاكرة إيمان وتقوى وخير، ويكون فيها صلة رحم، وتكون أنت الواصل، وتصير خفيف ولطيف على قلوب الحاضرين، لكن يجب أن تكون هناك استغاثة: أن يا رب اجعل اجتماعاتنا مباركة واجعل السرور يدخل على هؤلاء المجتمعين، حتى لو أتاك ضيوف من أهلك، النساء -وهن مستقيمات- تجرينّ في البيت وتنظمنّ هذا وهذا وتصلحنّ هذا وتحضرنّ هذا، جزاهم الله خيرًا فهذا من إكرام

الضيف، لكن في القيام والوتر؟ وما بين الأذان والإقامة؟ لماذا لم تدع الله أنه لا يدخل عليك إلا المباركين أولًا، ويا رب اصرف عنا كل أهل الشر، وأن الداخل ينشرح صدره وأن في مجلسنا هذا لا يكون إلا ذكر الله وما والاه، ولا يكون هناك غيبة ونميمة ولا تحرجات وأن فلان يرد على فلان وفلان يرد على فلان، لا بد من الدعاء، تحمل هم فلان وفلان لو اجتمعوا سيقولون هذا ويحرجونك أمام الناس وينتقدونك مثلًا، أنت تبذل جهدك أن تضيفهم في مكان خارج البيت وفعلت ودفعت وهم يقولون: لماذا أتيت بنا لهذا المكان؟ وكل داخل يقول لك هذا الكلام، فتقولين في داخل نفسك: هذه آخر مرة أعزمكم فيها! ليس هكذا نتعامل مع الأمور، تقولين لهم: إن شاء الله المرة القادمة تكونون عرفتم الطريق والمرة القادمة إن شاء الله يكون المكان أوضح وأحسن وهناك من وصل بسرعة وهناك من وصل ببطء وكله أرزاق، ثم ينتقدونك في عشائك وضيافتك، والانتقاد هواية عند الناس، مثل هذا الشكوى، أنت تكرمهم وهم يردون عليك بالإهانة وأمام الناس وبصوت عالٍ وتقليل من القيمة، لكن من البداية ابعد الشيطان عنك واجعل كل كلمة تُقال لها مخرج غير هذا.

نضرب مثالًا لتصور هذا المعنى: في موقف حقيقي شخص قال للثاني: (أنت عفريت) فمن سمع الكلام فهم أن عفريت يعني أنه قوي ويفعل الأشياء ومررها ولم يرد التفكير فيما يقصد في الكلام، ومرت وانتهت والنفس لا تمتلئ، وهذا هو المهم أن تحلم عليهم وتأتي لنفسك بطرق لتخرج لأن هذه الكلمات والانتقادات والتعديات التي تصير ممن حولنا نسقطها على أنفسنا ونشعر أن الناس يحتقرونا ثم تتحول إلى وسواس كلما فكرت فيها تدور الكلمات التي قالها ولا تتذكره إلا بهذه الكلمات، لكن لو أخرجت الشيطان من الموضوع تسقط هذه الكلمة التي قالها بعيدًا عن الذاكرة وتخرج، لكن الشيطان لا يدعها تخرج، ترتبط الكلمة بها، وتبقى أنت متوثب تخاف في المرة القادمة أن يقول لك كلام، فتبتلى بأن يقول لك كلام أسوأ من المرة الماضية!

علينا أن نعرف كيف نتخلق بهذا الخلق الحسن، ابتداءً بالاهتمام بصلة الأرحام ومرورًا بالدعاء أن يجعلنا الله -عزّ وجلّ- ممن يصلون الأرحام، ومرورًا بالدعاء في الأحوال التي سأصل فيها الأرحام وانتهاءً بالصبر، لا توجد علاقة إلا والصبر رأسها،

فمهما آذوك أولي الأرحام ومهما أهملوك فتقرب إلى الله بالصبر على هذه الأذية وإبقاء الإحسان، والإحسان ليس شرطًا أن يكون فيه وصلًا كاملًا وزيارات فقد نكون في بلاد وهم في بلاد، لكن نحن نحسن لهم بكل الطرق الممكنة ونهتم بهم، بل وندعو لهم.

امرأة تقول: أنا ادعو في الوتر أكثر من نصف ساعة وعائلتها كبيرة وهم فصائل، فتبقى تدعو أن يغفر الله لكل من الفصائل اغفر لأحيائهم وأمواتهم ووسع على أحيائهم وأمواتهم، لكل عائلتها تدعو، وعندما تطوف وتسعى شوط من الطواف وشوط من السعي تتوجه بالدعاء إلى الله لكل هذه القرابة.

هذا من أيسر ما يكون ولكننا مقصرون في هذا لأن صلة الأرحام ليست على بالنا؛ لذا حتى في الدعاء ليس لهم نصيب معنا. ننتقل إلى فقه الحديث:

فِقهُ الحديث:

١) الأصل في التعامل بين ذوي الأرحام: الإحسان والصبر وطلب المعاذير، ولا يكون معاملة الأخذ والإعطاء.

المسألة ليست بالتساوي، يعني أنا أعطيك متى ما أعطيتني، أو أنا أعطيك وأنتظر أن تعطيني وأكمل طريقي! إنما الإحسان في الدرجة الأولى وننتقل إلى الصبر، وأحيانًا لا نحتاج إلى الصبر؛ لأنهم بأنفسهم -والحمدلله- طيبون مباركون ونافعون، أحيانًا لا يكونون بهذه الحالة فلا نحتاج إلا إلى الإحسان وأحيانًا نحتاج الصبر ونطلب المعاذير كما تبين معنا.

٢) امتثال أمر الله سبب عون الله وتأييده وتوفيقه.

امتثال أمر الله بالإحسان ويكون لك من الله ظهير ومعين.

٣) قطيعة الرحم ألم وعذاب في الدنيا وسبب خزي وندامة في الآخرة.

لا بد أن نعرف أن ربنا لما خلقنا شعوبًا وقبائل لنتعارف وجعل فصيلتنا تؤوينا، فأي قطع في هذه الفصيلة التي تؤوينا لا بد أن يجلب الألم في نفوسنا، مهما قال الإنسان أنا لا أحتاج لهم ولا أهتم بهم وأنا مستغن عنهم، وعندي أصحابي، هذا الكلام يأتي من الطائشين لكن العاقلين يعرفون أن الله خلق الكون على هذه الطريقة، أن الإنسان له فصيلة وأن عزوته في فصيلته وقبيلته، وفي عشيرته، فلماذا سواد الوجه معهم؟! لا بد أن يكون أبيض الوجه حتى لا يتألم نفسيًا.

ونؤكد أن الشريعة الغراء أتت موافقة للطبائع النفسية، فأنت مما يدخل عليك السرور صلة الرَّحم، تقول: (أنا لا تدخل علي صلة الرَّحم السرور!) نقول: الله الذي خلق الخلق أعلم بهم، فهو العالم أنك تأوي إلى فصيلة إلى أن نصل إلى القبيلة الكبيرة، فعلى الأقل لو لم تصل إلى القبيلة الكبيرة يكفيك بأن فصيلتك تؤويك فتشعر بالسكينة معهم، فقطيعة الرَّحم ألم وعذاب في الدنيا ويوم القيامة سبب للخزي وندامة.

٤) ينبغي للعبد أن يحتسب الأجر من الله سبحانه في أداء الحقوق إلى ذوي القربى وغيرهم.

هنا نؤكد أن صلة الأرحام ليست مجاملات إنما حقوق تؤدى لأجل الله لذلك لا بد أن نذكر أنفسنا بهذا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء الخامس عشر

الخميس: ٢٣ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من المخلصين في طاعته وعبادته المؤدين الواجبات والحقوق على ما يرضيه -سبحانه وتعالى- نسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لأداء حقه وحق عباده كما أمرنا خالصًا لوجهه، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، اللهم اجعل قلوبنا متوجهة إليك في كل حركة وسكون، ولا تجعلنا برضى الناس متعلقين، بل اجعلنا مخلصين يا رب العالمين اللهم آمين.

لا زلنا في الكلام عن صلة الأرحام وما أصعب هذا العمل عندما تريد أن تجرده لله لأنه لا زالت وجوه الأرحام ترتسم أمامك، وإن كنت من المحسنين وكانوا هم من الطيبين لا زال الثناء يزعج فؤادك، وإن كانوا هم ممن وصفوا في الحديث السابق أنهم يتعدون على المحسن، أيضًا كلام الأذية والانتقاد يؤذي فؤادك، فنسأل الله أن يخلص لنا أعمالنا، ولو تمكنا في الحياة من أن نضع يدنا على قلوبنا ونوجهها على الطريق ربما ما استطعنا أن نحقق الإخلاص فكيف ونحن ما ندري كيف يتقلب قلبنا؛ ولذا لا بد أن نؤكد في مثل هذه المجالس على طلب الإخلاص في مثل هذه الأعمال، وهي النقطة الأخيرة التي قابلناها في اللّقاء الماضي في مسألة احتساب الأجر في أداء الحقوق، علينا أن نذكر أنفسنا دائمًا أن لنا في ذلك أجر، باب من القربى، فنطلب الإخلاص ونطلب رضا رب العالمين بذلك.

نكمل اليوم إن شاء الله الكلام عن باب (فضل صلة الأرحام) وقد تبين لنا من الباب السابق أن صلة الأرحام لو كانوا أهل ضر؛ فلك من فضلها أن يكون لك من الله ظهير، ونرى في الحديث التالي أيضًا فضل لصلة الأرحام:

٥٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ ابْنِ بِلاَلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا الرَّدَّادِ اللَّيْثِيَّ أَخْبَرَهُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-

يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ).

شرحُ الكلمات:

- اشتققت: أي: أخرجت وأخذت اسمها.
- فمن وصلها وصلته: أي: إلى رحمتي أو محل كرامتي.
- بتَتُّه: أي: قطعته من رحمتي الخاصة، من البَتّ وهو القطع.

في هذا الحديث خبر غيبي عظيم فيه إثبات لمكانة الرحم وصلتها، (قال الله) هنا أصبح حديثًا قدسيًّا لأن فيه: (قال الله)، (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ)، وهذا اسم عظيم من أسماء الله، بل إن صفة الرحمة من عظمتها أنه -سبحانه وتعالى- سمى نفسه من هذه الصفة باسمين مشهورين بالنسبة لنا: (الرحمن الرحيم) والله أعلم عما في الغيب من أسمائه، (الرحمن): ذو الرحمة الواسعة، و(الرحيم): ذو الرحمة الواصلة، فهو الرحمن وفي رواية: (وهي الرحم) وهذه الرواية التي بين أيدينا: (وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي) يعني الله متصف بكثرة الرحمة وسعتها وهي: الرَّحم التي آمركُم بوصلها، الرَّحم هي: الصلة التي تكون بين الشخص وغيره، والمراد هنا: (الأقربون).

والمقصود: أن هذه الصلة مبناها على الرحمة، من رحمة الله أن جعل النظام الإنساني بهذه الطريقة؛ لأنه إنسان ويحتاج إلى الأنس والرحمة، وفي الإنسان من رحمة الله التي خلقها في نفس الإنسان ما بها يتقرب إلى الله، فأنت مخلوق فيك رحمة، فالمرأة عندها رحمة تعطيها لأبنائها وزوجها وأهلها، والرجل عنده رحمة يعطيها لزوجه وأبنائه ومن تحت يده في العمل، فنحن بالرحمة نعيش؛ ولذلك مجتمعنا مجتمع التراحم.

من سوء الحضارة الغربية أن جعلت القانون ينفذ بحروفه وليس بروحه فأصبحت العلاقات تعاقدية والعلاقات في الإسلام تراحمية، من يمدح الغرب فيقول: هؤلاء يطبّقون النظام على الصغير والكبير!

أولًا هذا الكلام فيه ما فيه من المبالغة والكذب، لكن بغض النظر، لو افترضنا أن التطبيق حرفي ولا يتحقق روح القانون، فالقوانين أتت لتصلح للناس حياتهم، وحياة الناس لا تصلح إلا بالرحمة، فإذا طبقنا القانون على الصغير والكبير والصحيح والمريض والقادر والعاجز وذا العقل الكامل الإنساني والكل، لو طبقنا القانون بهذه الطريقة لأفسدنا الحياة؛ لأن العلاقات تراحمية وليست تعاقدية وما أطيب التراحم.

لتقيس مقدار إنسانيتك فانظر إلى مقدار رحمتك، والمتصور أن الإنسان كلما تحسنت أوضاعه الإنسانية كلما رقّ قلبه لذلك من السهل أن تدمع عينه لأنه رقيق القلب ذو رحمة، لكن -الله يعيذنا ويجيرنا- أصحاب الماديات ما عندهم إلا التعاقدية.

مثلًا: من التراحمية أن أشتري شيء ما لي فيه حاجة إلا أن أنفع البائع المتجول، التعاقدية تقول لك: لا تضع مالك في شيء لا تحتاجه.

والتراحمية تقول لك: لا تتصدق عليه ما دام يمكن أن تنفعه بطريقة لا تُظهر حاجته لك فتعطيه كأنك تبيع وتشتري، يقول لك: (المناشف بعشرة ريال) فتقول: (بثمانية ريال!) بل افعل ذلك مع من لا تستطيع فتح فمك عندما تشتري منهم، تناقش مع هَؤلاء الرأسماليين، وهذا تعطيه وأنت محتسب الأجر وترحمه وتسأل الله له المال الحلال وكف اليد عن البلاء والحرام وأن يحفظه الله مما يمكن أن يكون من البلاءات المعروفة والطرق المحرمة، مثل هذا كله من آثار رحمة الله.

الرحم أتت من ذوي الأرحام وإن كانوا محددين، المقصود يرحم بعضنا بعضًا، هذا أصل علاقتنا، أن يرحم بعضنا بعض، وعندما ترى المشاكل في المحاكم تعرف ماذا فعلت المادية وأفسدت هذا التراحم، كيف وأنت تسمع الله -عزّ وجلّ- يقول: (أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي) يعني من الرحمة، فكيف لا يكون هناك رحمة؟ يجب أن يكون هناك جهد مبذول لإعادة ما كان عليه مجتمعنا من الرحمة والمحافظة على ما بقي من الرحمة، واستنهاض الرحمة.

في موقف محزن...امرأتان على ثغر من الثغور، إحداهن في قلبها رحمة تجاوزت عن شيء من القانون لامرأة كبيرة في السن؛ لشيء من الرحمة في قلبها وأتت زميلتها تقول لها

بطريقة فيها نوع من السخرية: أنت طيبة، بمعنى أنك لستِ حازمة أو يُضحك عليك! فما تملك في وقتها إلا أن تقول: (الراحمون يرحمهم الرحمن) إن كنت تظن أن تطبيق القانون يعني عدم رحمة الناس فهذا فساد، للقانون روح وروحه أن تصلح أحوال الناس لا أن تفسد! فالله اشتق اسم الرحم من اسمه، فأكيد أن أهم معالمها الرحمة، (من وصلها وصلته) من أحسن إلى أهله وأرحامه ورفق بهم وداوم على الاتصال بهم، أحسنت إليه ورفقت به وأنعمت عليه، يا رب ما أعظمك وأعظم شرعك يا رب العالمين، يحثنا على رحمة من خُلقنا على أن نرحمهم ويرتب على ذلك أجور ويرتب من عنده عطايا -سبحان الله- وأنت عندما تمارس الرحمة يحصل لك من السعادة ما الله به عليم، والله عندما ترى موقفًا فيه رحمة ما تملك نفسك إلا أن تبكي، وكثير من مواقف المطاف اليوم فيها كثير من الرحمة ومن ملاحظة رحمة الناس ما يثلج ويبرد الصدر، وهناك مواقف أخرى تقول: (أنت في موقف تستطيع أن تكون رحيمًا فلماذا تخسر أن تكون رحيمًا؟!) لذلك عندما يصاب المسلمين بمصاب يموت فيه أعداد نتيجة أخطاء أو إهمال، لا يكن تفكيرك من أهمل ومن أخطأ فهذا ليس موضوعك بل موضوع غيرك، لكن كيف تستطيع أن تتحمل أن تسمع خبر أن ٤٨ شخص ماتوا بسبب أكسجين أو غيره ولا يرق قلبك ولا تفكر في ذويهم ولا تفكر كيف كان الحال في الموت الجماعي، يجب أن تتحرك في نفسك الرحمة على ما يحصل للمسلمين ثم يحصل الدعاء هذا من آثار ما خلقنا عليه، فابدأ بأهلك أولا ثم وسع المسألة.

لكن عليك أن تضع لنفسك مقياسًا، فتقول: إما أن أسير في طريق الرحمة أو أنصرف عنه إلى الفردية والتفكير في نفسي ولا يهمني إلا نفسي، ومن كثرة الاهتمام بالنفس يكون الإنسان لا يبالي بآلام حتى أقرب الناس، ولا يفكر إلا أن ألمه هذا سيعطله عن مصالحه، فلا تتألم الآن لأننا سنقضي بعض الأمور. نفهم في موقفنا هذا أنه ما عندنا إلا الفردية والأنانية أو الرحمة والوصل، وكلما استوردنا أفكار أهل الكفر التعاقدية كلما فقدنا التراحمية.

(وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) يعني هجر أهله ولم يحسن إليهم ويتصل بهم ويواسيهم ويكون حفيًا بهم على قدر استطاعته، وهنا كل شيء على قدر الاستطاعة، يقطعه الله من

رحمة الله وإحسانه وهذا شيء مخيف، نعوذ بالله أن نُقطع من رحمة الله وإحسانه، الله يعيننا على وصل أرحامنا ويعيننا على الإخلاص في ذلك.

فِقهُ الحديث:

١) الرّحِم أثر من آثار رحمة الرحمن، ويتعين على المؤمن التخلق بأخلاق الله تعالى والتعلق بأسمائه وصفاته.

هنا قد نخالف الشيخ في كلمة وإن كان استعملها بعض المعاصرين، (التخلق بأخلاق الله) كلمة لم تورث من عند السلف وإن كانت ليست باطلة وإن كان المقصود أن نلتزم المنهج كما ينبغي، فنقول: يتعين على المؤمن أن يأتمر بما أمر الله، وأن يجعل لأسمائه الحسنى وصفاته العلا أثرًا عليه في سلوكه.

٢) ذكر اشتقاقها من الرحمن استعارة وإشارة إلى عظم شأنها.

أنها اشتقت من اسم الرحمن إشارة إلى عظم شأنها، يعني أنها شيء عظيم.

٣) فيه تعظيم شأنها وبيان فضيلة وصلها وعظم الإثم لقطعها.

٤) والرحمة مقيدة باتباع الكتاب والسنة: فإقامة الحدود والانتقام لحرمة الله لا ينافيان الرحمة المطلوبة في هذا الحديث.

بل يوافق رحمة الله لأن من رحمة الله تطهير المذنب من ذنبه وتحذيره من النار؛ لأن كل ما نقرؤه في القرآن عن النار وأوصافها إنما هو من آثار رحمة الله، كل المواقف التي توصف في القرآن مثلًا للرؤساء وأتباعهم وكل من غرّوهم في التفكير، كل هذا رحمة من الله حتى لا تكون من أولئك الأتباع.

مثلًا: عندما تقرأ في سورة الصافات لما الصاحب اطَّلع لصاحبه فرآه في سواء الجحيم وقال له: {إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ} (الصافات: ٥٦)، فتفكر من هذا الذي يمكن أن يُرديك في الدنيا، صحيح أن هذا خبر من ذكريات أهل الجنة، لكن يقول لنا: احذروا أن يكون لكم أصحاب يكادوا أن يردوكم، هذا كله من رحمة الله، فالكلام عن العقوبة كالكلام عن النعيم، والكلام عن الصواب كالكلام عن الخطأ كله من رحمة الله، وبهذا تكون الرحمة واسعة.

٥٤- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُثْمَانَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو فِي الْوَهْطِ -يَعْنِي أَرْضًا لَهُ بِالطَّائِفِ- فَقَالَ: عَطَفَ لَنَا النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- إِصْبَعَهُ فَقَالَ: (الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ يَصِلْهَا يَصِلْهُ، وَمَنْ يَقْطَعْهَا يَقْطَعْهُ، لَهَا لِسَانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

شرحُ الكلمات:

- الوهط: المكان المطمئن المُسَوَّى ينبت العظاه والسرد الطلح، وهو مال كان لعمرو ابن العاص بالطائف، وهو كرم كان على ألف ألف خشبة، كل خشبة بدرهم.
- شُجنة: بالضم والفتح لغتان معروفتان، أصله عروق الشجرة المشبكة، والمعنى: الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها، والقاطع لها قاطع من رحمة الله تعالى.
- طَلْق: بفتح الطاء وسكون اللام فصيح اللسان، عذب المنطق.
- ذَلْق: بالفتح والسكون، ذو الحِدَّة والفصيح البليغ.

هذا الحديث له رواية مبدؤها: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الارْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ).

هذا الحديث كسابقه يبين مكانة الرحمة (الرَّحِمُ شُجْنَةٌ) المراد بها: القرابة المتشابكة كاشتباك العروق، والمراد منها هنا أنها مشتقة من اسم الرحمن، كأنها مشتبكة بمعاني الرحمة اشتباك العروق.

ويمكن أن يظهر هذا حتى من الكلمة فحروف (الرَّحم) أتت من اسم (الرَّحمَن) فكأنها متشابكة بمعاني الرحمن كاشتباكها بالحروف، حروف (الرَّحم) مشتبكة في اسم (الرَّحمَن) ومتداخلة فيه كتداخل العروق لأنها من أصل واحد، ومن ثم الرَّحم فيها الرحمة متداخلة، بمعنى أنها أثر من آثار رحمته -سبحانه وتعالى- مشتبكة بها، أن جعل بيننا هذه الأرحام وهذا التشابك، وفي هذا حث على الوصل.

(لَهَا لِسَانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ) يقصد بذلك: أن هذه الرَّحم يوم القيامة سيكون لها شأن، ففي الرواية أنه إذا جاء يوم القيامة جاءت هذه الرحم فتكلمت بلسان طلق ذلق، لسان فصيح بليغ، تطلب وصل من وصلها كما وعدها رب العالمين، وتطلب قطع من قطعها كما وعد رب العالمين.

فِقهُ الحديث:

١) التأكيد على حرمة قطع الرحم والإعراض عنها من الكبائر.

٢) تعظيم أمر الرحم وإن صلتها مندوبة ومرغَّب فيها.

٣) الرحم تنطق وتشكو إلى الله يوم القيامة مَنْ قطعَها.

ما في الحديث ستكون ذات حدة، فصيحة، تشتكي إلى الله.

٤) إن الرحم مشتقة من اسم الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله من رحمته.

نقرأ الحديث الأخير وقد شرح فيما سبق:

٥٥- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ يَزِيدَ ابْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ اللهِ، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ).

# اللّقاء السادس عشر

الأحد، ٢٦ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل من الله في أحاديث رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- نتمتع بها، ونتأدب بالأدب الذي أدب الله به رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- وكان نعم المبلغ -صلّى الله عليه وسلّم- تسليمًا كثيرًا، وكنا قد وصلنا إلى الباب الثامن والعشرون من كتاب: (الادَب المُفرَد)؛ باب: (صِلَةِ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ):

## ٢٨- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ

٥٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَقِيلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).

٥٧- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْمُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ مَعْنٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).

شرحُ الكلمات:

- يُبسط له في رزقه: يوسع له.
- يُنسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره. قال الترمذي: يعني به الزيادة في العمر.

هذا الحديث تضمن أمرين من مطالب الخلق جميعًا، ومن مخاوف الخلق جميعًا، فالخلق يخافون على أرزاقهم ويخافون على أرواحهم؛ ولذا لما حاول إبليس إغراء آدم -عليه السلام- أغراه من هذه الجهة، وطمّعه في هذا الأمر، الملك الذي لا يبلى، والعمر الذي لا يفنى، فهذه المطالب التي يدور عليها طلب الناس، ونحن -الحمد لله- مطمئنون، فقد جاء في حديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم-:

(فإنَّ نفسًا لن تموتَ حتى تستوفِيَ رزقَها )[٤] فلا بد أن نكون في حالة طمأنينة تامة لا يدخلنا القلق أبدًا، هذه الأمور قدرها الله ولا تكون إلا كما قدرها الله.

لكن هذا الحديث تضمن وعدًا بالزيادة في هذين الأمرين، بعمل الشريعة تحض عليه وطمعت الناس في هذا الأمر والنفس الإنسانية مجبولة على حبه من أجل بقاء هذا العمل، وهذه طريقة عجيبة في الدين فالله يعلم ما في نفسك وما ترغب وما تحب، فيجعل ما ترغب وما تحب سبيلًا للإحسان إلى الخلق.

فأمرنا بعمل تدعو إليه الفطر السليمة والعقول المستقيمة ويدعو إليه الكتاب والسنة، فقال لنا -صلّى الله عليه وسلّم-: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ)، يعني يوسع له وهذا محبوب عند الناس كلهم، حتى واسع الرزق يحب أن يبسط له في رزقه، الذي يريد أن يوسع له في رزقه يصل الأرحام وهو باب عظيم من أبواب القربى إلى الله وهذا شيء من مصالحه الدنيوية.

أولًا: نفكر في مقصود من يفعل هذا الفعل، هل يريد هذا من الله ولا يريد وجه الله؟ بل يريد وجه الله، يقصد الله بصلة الرحم ويريد من الله هذا الأمر بالإضافة إلى الأجر.

والأمر الثاني: كيف يبسط له في رزقه والرزق مقدر ومحدد، المراد كما ذكر أهل العلم: البركة، يبارك له في رزقه لأن البسط بلا بركة لا فائدة فيه ولذا ليست العبرة بالبسط على كثرة ما يدخل على الإنسان من المال إنما العبرة بما يحصل فيه من البركة، وأناس يكون عندهم أموال كثيرة لكن غير مباركة، يذهب ولا يدري أين تذهب ولا ينتفع انتفاعًا يُذكر بها لا في دنياه ولا في أخراه، في مقابل آخر له دخل أقل لكنه يأكل ويتصدق

---

(٤) صححه الألباني.

وتجده يصل رحمًا وينفق في سبيل الله وتحصل له أنواع المنافع والآخر ليس له شيء من ذلك والله أعلم أن بسط الرزق معناه: البركة، فالله يجعل صلة الرحم التي أعظمها بر الوالدين سببًا للبركة في الأرزاق، يقابل هذا أنه -سبحانه وتعالى- ينزع البركة من قاطع الرحم، أحد أسباب نزع البركة هو: قطيعة الرحم.

والأثر الثاني من آثار صلة الرحم كما ذكر -صلّى الله عليه وسلّم-: (أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ)، الإنساء بمعنى التأخير: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} بمعنى تأخير الأشهر الحرم، ومثله: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} فسرت (ننسها) في بعض التفاسير: (نؤخرها).

الشاهد: أي يؤخر في عمره فيطول عمره، ممكن يقول أحد: كيف نجمع بين هذا وبين قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً۬وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} يعني إذا حل الأجل لا يُمكن دفعه وهو أجلٌ محتوم، فكيف يُزاد له في العمر؟! الجواب -والله أعلم- ينقلنا للكلام عن أنواع التقدير عند أهل السنة والجماعة وهو مبحث مشهور في باب القضاء والقدر.

باختصار هناك تقدير أزلي في اللوح المحفوظ في علم الله -عزّ وجلّ- لا يتقدم ولا يتأخر؛ لأن الله علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، هذا العلم ما فيه زيادة، فهو عالم بكل شيء -سبحانه وتعالى- وهذا الذي في اللوح المحفوظ لا يحصل له تغيير.

وهناك تقدير آخر وهو الذي في الصحف التي في أيدي الملائكة، وهو الذي قال عنه -سبحانه وتعالى- في سورة الرعد: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} أم الكتاب: اللوح المحفوظ، والذي يحصل فيه المحو هو الصحف التي في أيدي الملائكة، يكون عمر الإنسان في الصحف التي في تقدير الملائكة خمسين سنة، ولو أنه وصل رحمه يصبح عمره ستين سنة، يصير عمره معلق بهذا العمل في صحف الملائكة، لكن في علم الله أنه سيصل رحمه وأنه سيكون ستين سنة، فالذي يحصل في صحف الملائكة يمحى الخمسين وتثبت الستين.

ومن أهل العلم من قال: (يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ) نفس مفهوم (يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ) يعني يبارك له في العمر ويوفق فيه إلى الانتقاع بالوقت والإقبال على الأعمال الصالحة، ويكون صاحب توبة نصوح تؤدي أن تكون حتى سيئاته في ميزان حسناته؛ لأن صاحب التوبة النصوح يبدل الله سيئاته حسنات، فيكون عمره عامرًا بذكر الله وبالأعمال الصالحة، فهذا العمر الذي يكون للإنسان لا عليه؛ لأنه يمكن أن يكون عمر الإنسان مئة عام وهو مفرط لا قيمة له، والأوقات عنده مهدورة وكل يوم نبتلى بابتلاء جديد يجعل الأوقات أكثر هدرًا، فلا تجده متعلقًا بمعالي الأمور، ولا تجد عنده همة أن يكون أو لا يكون، ولا تجد عنده آمال لتقربه من رب العالمين، فلا يتمنى مال لينفق في سبيل الله، ولا يتمنى صحة من أجل أن يقوم الليل ولا يتمنى ذاكرة من أجل أن يحفظ القرآن، فهذا بقاؤه مثل عدمه، حياته لا قيمة لها، ولا تجده يتأمل في يومه أن يدخل سرورًا وأن يفرج كربةً، لا توجد أفكارًا إلا للدنيا، فاليوم عند هؤلاء كأنه قضية، مملة ثقيلة، يقطعونها، ينتظر أحدهم أن ينتهي يومه بأي صورة، وهكذا يمضي حياته كل يوم ليتخلص من اليوم الذي هو فيه، فهذه ليست حياة، فالذي يكون عمره له هو الذي يبارك له في عمره، وهذا معنى عظيم، وبهذا يصبح الجُزءان من الحديث متطابقين، (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ) يعني يوسع له، يبارك له فيه ويصبح الشيء القليل له قيمة عظيمة، (وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ) يعني يبارك فيه، فهناك معنيان:-

إما أن يكون المحو في صحف الملائكة التي كتبت عمره وهذا يشبه ما قاله عمر -رضي الله عنه-: (اللهم إن كتبتني من الأشقياء فامحني واكتبني من السعداء) على أنه بما في صحف الملائكة. سبحان الله!

وهناك معنى آخر أيضًا: (ينسأ له في أثره) بمعنى أن يبقى له أثر، يبقى له الذكر الجميل، وعندما تنظر إلى علمائنا -رحم الله الجميع منهم- تجد أن آثارهم مذكورة ومعروفين ولهم الأثر الجميل، بل وتجد أناس يمكن أن يكونوا من أجدادنا، أناس كثير منسيين ثم هناك جد واحد من بعيد له أثره، مثل لما تفتخر جهينة بمن يسمونه بـ(فكاك المساجين) وهذا له قصة عجيبة مع الملك عبد العزيز -رحمه الله رحمة واسعة- لما كان في الطائف يستقبل وجوه القبائل، وشيوخها، وأتى شيخ قبيلة جهينة وله مكانة

عند الملك عبد العزيز، يتصف بالذكاء والفطنة والروح الخفيفة، أتت امرأة تريد أن تدخل عند الملك عبد العزيز أو تريد أن تنيب عنها من يدخل على الملك عبد العزيز من أجل أن يفك ولدها من السجن فأشاروا لها على شيخ جهينة لأن له وجاهة عند الملك، فأقبلت عليه وطلبت شفاعته، جلس الشيخ في المجلس وطلب منه طلب، وهذه الكلمة معروف عند العرب أنها لا ترد خصوصًا ممن هو مقبول في الشفاعة، قال: قل وجاك، ونسي شيخ جهينة اسم الولد فقال: أود منك أن تفك جميع المساجين، قال الملك عبد العزيز: (تم)، وصارت سنة المملكة أن يفك المساجين في كل رمضان، وأثر هذا الأمر على كل هذه السنين في ميزان حسناته ويبقى له طيب الذكر، بهذا نتصور معنى مهم لمعنى (يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ) بمعنى يعرف بالذكر الحسن بين الناس.

ضربنا هذا المثال الذي هو أقل من أن نقول أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هؤلاء الكبار العظام الباقي أثرهم، قد يقول أحد: هؤلاء أصحاب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أين أنا وأين هم؟ نقول: على مدى التاريخ -الحمد لله- باق أثر للمؤمنين المتقين الذين يرغبون فيما عند الله والذين علم الله ما في قلوبهم وعلم صدق إرادتهم لوجهه الكريم.

بعضهم فسرها بالذرية الصالحة، الله يرزقنا ذرية صالحة، (يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ) يمكن أن يكون هو يترك أعمالًا صالحة، نسأل الله أن يرزقنا أعمالًا صالحة يبقى أثرها ويرتفع شأنها عند رب العالمين أو ذرية صالحة، عقبًا له، فيكون أبناؤه سائرين على سيرته الطيبة سواءً في نشر العلم أو في العمل الصالح، أنت ترى كثير من الأبناء -للأسف الشديد- يكون آباؤهم أصحاب وصل يصلون أرحامهم، وعندما يرث الأبناء أموال آبائهم لا يفكرون حتى أبي كان يصل مَن؟! اليوم الأمر سهل فبأبسط كشف حساب يعرفون هو كان يرسل لمن، سيعرفون أنه كان يرسل للعمّة والخالة والجدة وللقريب، هذا من البر أن تبقى واصلًا لمن وصل والدك، كما مر معنا، لكن المُشاهد أن الأبناء قاطعون للرحم -والله يعيننا- لكن الذي يبقى له ذرية طيبة يكون امتدادًا لعمر الإنسان.

الذي يظهر أن صلة الرحم تكون سببًا للزيادة في الرزق والزيادة في العمر، وهذا من أعظم المطالب التي يطلبها الإنسان، وهذا يدلنا على أن الله -عزّ وجلّ- قد جعل لنا أبوابًا

عظيمة نعمل فيها خيرًا ونتنفع في دنيانا وأُخرانا، وإن شاء الله لا يوجد أي إشكال في فهمنا لبسط الرزق وأن ينسأ له في أثره.

وبهذا نفهم أن من أحب هذه الأمور عملها لله فكان هذا من آثارها، لا بد أن يعملها لله.

فِقهُ الحديثين:

١) صلة الأرحام سبب لبسط الرزق وسعته والبركة فيه، قال العلامة الألباني:

(كما أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية، وأن ذلك لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ، فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب، فهو لا ينافي ما كتب في اللوح أيضًا، ولهذا جاء في بعض الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة أن الدعاء يطيل العمر، وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار).

هذا الكلام الذي نقله المؤلف عن الألباني -رحمهم الله جميعًا- مبني على فهم أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص وهذا بالنظر إلى الأسباب، فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب، مثلما ورد (لا يزيدُ في العمرِ إلَّا البرُّ ولا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ) هذا في حديث صحيح، ما يزيد في العمر إلا بر الوالدين، نفس الأمر صلة الأرحام وبر الوالدين وكثرة الدعاء، هذا من أسباب البركة في الأعمار، من أسباب طول العمر على أن يكون العمر مبارك، مجرد طول العمر ليس مطلب، إنما طول العمر بالبركة، ودائمًا يضرب مثال الإمام النووي -رحمه الله- عمر قصير وأثر عظيم سبحان الله!

يبقى أن علم الله لا يتغير ولا يسبقه جهل ولا يعقبه نسيان، بل علم الله شامل، كل هذه أسباب جعلها الله ولا منافاة بين ما كتب الله وبين هذه الأسباب.

يكون بهذا انتهى هذا الباب، ننتقل للباب التالي:

## ٢٩- بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَحَبَّهُ أَهْلُهُ

٥٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَغْرَاءَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ، نُسِّئَ فِي أَجَلِهِ، وَثَرَى مَالُهُ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ).

٥٩- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَغْرَاءُ أَبُو مُخَارِقٍ هُوَ الْعَبْدِيُّ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: (مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ، أُنْسِئَ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَثَرَى مَالُهُ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ).

كلا النصين أثر عن ابن عمر، قال في الأول آثار التقوى ووصل الرحم، وهنا يبرز أكثر أن وصل الرحم إنما مبني على تقوى الله، فليس هناك صلة بدون تقوى الله، وليس هناك صلة لمجرد الوصول إلى الثراء، إنما من تقوى الله، فهذه عاجل بشرى المؤمن، عندما تفكر في مسألة وصل الرحم، افهم نفسك وعدّل نيّتك على أنك تريد وجه الله وأن هذه العطايا من الله نعمة منه، كأن هذه عاجل الأجور، أنت حسّن نيّتك واجعلها لله والله يعطيك ويوسع عليك ويجعلك محبوبًا عند أهله، ونفس الأمر في الأثر الثاني.

فِقهُ الأثرين:

١) التقوى وصلة الأرحام هما سببان رئيسان للتوسعة والبركة في المال والحياة وجلب المحبة والتوقير من أفراد الأسرة.

وقد مر معنا أن نتقي أسباب الشر ونتقي أسباب قطع الرحم وما أن تبدأ الشرارة إلا ونطفئها قبل أن تكبر وتأكل العلاقات بيننا، وادفع مثل هذا الشر بوصل لطيف وخفيف على أن ينطفئ ما في القلوب وادع أن الله -عزّ وجلّ- يلم شملنا ويؤلف بين

قلوبنا، كثرة الدعاء أن يؤلف الله بين قلوبنا لتحصل راحة الحياة ويحصل السرور بالاجتماع وفي كل المناسبات، وكلها أمور -الحمد لله- من طيب الحياة، فنسأل الله أن يجعلنا واصلي الرحم وأن يؤلف بين قلوبنا ويؤلف بين قلوب أرحامنا من أجل أن تسهل علينا هذه العبادة العظيمة، فنسأل الله أن ييسر لنا صلة الأرحام وكل أمر يحبه، نسأل الله أن يؤلف بين قلوبنا وبين قلوب أرحامنا بحيث يكون أمر تطيب له النفس ويكون له أعظم الأثر في حياتنا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء السابع عشر

الاثنين: ٢٧ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، نكمل ما بدأناه من الكلام حول أحاديث المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم- التي تؤدبنا بأدب الله الذي أدّب به رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- فترقينا في الإيمان وتجعل هذا الإيمان سببًا لحسن سلوك الإنسان، فالحمد لله الذي حفظ لنا سنة المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم- والحمد لله الذي جعل لها رجالًا يفندون صحيحه من ضعيفه وهذه نعم تذكر فتشكر، فالحمد لك يا رب العالمين. نبدأ بالباب الثلاثون، باب: (بِرِّ الاقْرَبِ فَالأقْرَبِ).

## ٣٠- بَابُ بِرِّ الأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ

٦٠- حَدَّثَنَا حَيْوَةُ ابْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرٍ، عَنْ خَالِدِ ابْنِ مَعْدَانَ، عَنِ الْمِقْدَامِ ابْنِ مَعْدِي كَرِبَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ).

فِقهُ الحديث:

١) وصية الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- المؤكدة بحسن الصحبة مع الأم كانت بسبب المشقة التي تعانيها من الحمل والوضع والرضاع وبسبب تهاون الناس في أداء حقوقها غالبا فالتكرار يفيد التوكيد.

٢) عدم التكرار في الوصية مع الأقارب يشير إلى أنَّ حقهم، وإن كان متأكدًا، ولكن ليس هذا التأكد مثل تأكد حق الأبوين.

٣) تكرار الفعل مع التوكيد يدل على الاهتمام بالوصية.

هذا الحديث قد تكرر ذكره فيما مضى وهو كالمقدمة لما سيأتي بعده من الكلام عن أثر قطيعة الرحم، أمر أوصاك الله به وبلغك إياه الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فكيف تستهين به؟

ثم إن في هذا ترتيب -كما مر معنا- أولًا الأمهات والآباء ثم الأقارب، والتكرار يفيد التوكيد، وكل هذا يدل على أهمية الوصية، هذه كالمقدمة لما سيأتي بعدها:

٦١- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْخَزْرَجُ ابْنُ عُثْمَانَ أَبُو الْخَطَّابِ السَّعْدِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي أَيُّوبَ؛ سُلَيْمَانُ -مَوْلَى عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ- قَالَ: جَاءَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: أُحَرِّجُ عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، حَتَّى قَالَ ثَلاَثًا، فَأَتَى فَتًى عَمَّةً لَهُ قَدْ صَرَمَهَا مُنْذُ سَنَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي! مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَتِ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ: لِمَ قَالَ ذَاكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ).

شرحُ الكلمات:

- أحرّج: أوقع في الضيق والاثم.
- صرمها: تركها.
- تعرض: معنى العرض الإظهار، وذلك أن الملائكة تقرأ الصحف في هذا الوقت.

هذا الحديث حصل خلاف في درجته، هل هو حسن كما ذكر الشارح للأدب المفرد أو هو ضعيف، على كل حال المعنى صحيح.

هذه قصة لأبي هريرة -رضي الله عنه- أنه دخل على مجلس عشية الخميس ليلة الجمعة، فحرّج على كل قاطع رحم ألا يجلس في مجلسه والسبب: أن عمل قاطع الرحم غير مقبول ومن ثم الجلوس معه شرّ عليه، وفي هذا أراد أبي هريرة -رضي الله عنه- تعظيم هذا الشأن عمليًا، ومثل هذا منه مقبول لكن لا تعتبر سنة، فإن جاز من أبي هريرة لا يجوز من غيره لما لأبي هريرة من مكانة بين الصحابة والتابعين.

وفي موقف التعليم هذا، شاب قد قطع علاقته بعمّته فتأثر بكلام أبو هريرة -رضي الله عنه- وذهب إلى عمّته ودخل عليها فهي استغربت من دخوله عليها تلك الساعة فبيّن لها موقف أبي هريرة -رضي الله عنه- وهنا نرى أثر هذا التصرف العملي منه -رضي الله عنه- فهي قالت له: لماذا قال هذا القول؟ فعد له واسأله فروى هذا الحديث.

عرض الأعمال من الأمور المتقررة، معروف في حديث صحيح والمعنى الزائد: (لا يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ)، الملائكة تعرض الأعمال لكن هذا ليس إلا مزيد بيان لخطورة الأعمال، أنت الآن أيها العبد الله مطلع عليك في كل ما عملت، والملائكة تصعد إلى السماء بأعمالك، وتعرض أعمال الناس في كل أسبوع مرتين، يوم الاثنين ويوم الخميس، وهناك ملائكة تكتب عن يمينك وعن شمالك، ويأتي بعده -والله علام الغيوب- يوم القيامة وتعرض عليك أعمالك، هذا كله يدل على أن وراءك حساب فكن مركزًا في أعمالك، الشريعة أرادت لك أن تحاسب نفسك، قيل لك: الملائكة في النهار تصعد بعملك، وملائكة الليل تصعد بعملك، والملائكة تكتب عن يمينك وعن شمالك، وكل يوم اثنين الملائكة تصعد بهذا العمل وتعرضه على رب العالمين، وهو أعلم بما تفعل، حتى يوم الخميس الملائكة تعرض أعمالك على الله -عزّ وجلّ- وبعد ذلك لا تحاسب نفسك؟ كل هذا لتجتهد في المحاسبة، وحتى لا تصعد الأعمال إلا وأنت تائب ومستغفر وعابد ومصلّ.

وقد ورد في صحيح ابن حبان: (تُعرَضُ أعمالُ النَّاسِ في كلِّ جمعةٍ مرَّتينِ: يومَ الاثنينِ ويومَ الخميسِ فيُغفَرُ لكلِّ مؤمنٍ إلَّا عبدًا بيْنَه وبيْنَ أخيه شحناءُ فيُقالُ: اترُكوا هذينِ حتَّى يَفِيئَا) فهو يشبه هذا الحديث.

وأيضا في الحديث: (تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فيغفرُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِكلِّ عبدٍ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رجلًا كانَ بينَه وبينَ أخيهِ شحناء، فيقول: أنظروا هذينِ حتَّى يصطلحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا، أنظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا) وهذا الحديث في صحيح مسلم، فهذا دليل على أن أبواب الجنة وطبقاتها وغرفها ودرجاتها تفتح يوم الاثنين ويوم الخميس، إشارة إلى كثرة الرحمة النازلة في هذين اليومين، وإشارة إلى أمر مهم وهو: أن الله يغفر في هذين اليومين.

(شحناء) أي: عداوة تملأ القلب أو حاصل هجران وتقاطع، وغالبًا يكون هذا الأمر في ذي الرحم، كأنه يمثلها قطيعة الرحم التي هي أقرب من أي شيء، فيقال: أمهلوا هذين الرجلين حتى يصطلحا لوجه الله وليس للسمعة والرياء، فإذا سامحته وغفرت له وهو أعرض، فالمعرض هو الذي يتعرض لعدم المغفرة، فمغفرة كل واحد متوقفة على صفائه وعلى زوال العداوة سواء صفا صاحبها أو لم يصفُ -فالحمد لله- وعلى هذا المعنى يكون هذا الحديث، وإن كان فيه ضعف في لفظه، لكن معناه الأساسي واضح وصحيح، فهو حديث صحيح أخرجه مسلم في الصحيح، وهذا الحديث يشبهه.

(شحناء) أقرب ما تكون في ذوي الرحم، في الأصحاب البعيدين الأمر أهون، أما ذوي الرحم ففيه إشكال. وكما ذكر في فقه الحديث:

فِقهُ الحديث:

١) فيه بيان فضل ليلة الجمعة لأن الأعمال تعرض فيها على الله عزَّ وجلَّ، وفيه إشارة إلى أن المرء ينبغي له احتساب عمله وتفقد نفسه في تلك العشية ليلقى ليلة الجمعة على أحسن وجه.

كم قصرنا في ليلة الاثنين وفي ليلة الخميس، ليلة الاثنين مقبلة علينا فنسأل الله أن يجعلنا ممن لاحظ وانتبه وتفقّد نفسه في تلك العشية.

٢) فيه زجر شديد لقاطع الرحم.

٦٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عِمْرَانَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ابْنُ جَابِرٍ الْحَنَفِيُّ، عَنْ آدَمَ ابْنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: (مَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، فَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَالأَقْرَبَ الأَقْرَبَ، وَإِنْ كَانَ فَضْلًا فَنَاوِلْ).

شرحُ الكلمات:

- يحتسب: يطلب الأجر من الله.
- آجره الله: أعطاه الله الأجر.
- تعول: عال الرجل: تحمل نفقته.
- فضلًا: زائدًا من حاجة من يعول.
- فناول: أعط لمن تريده، وهو كناية عن الإنفاق في وجوه الخير.

هذا الحديث كما الحديث الأول فيه مسألة الترتيب، وهو أثر عن ابن عمر، هذا الأثر عن ابن عمر لا بد أن يكون معناه والتأديب الذي فيه ليس من رأي ابن عمر إنما مأخوذ عن رسول الله.

هذا معنى معروف لا إشكال فيه، المطلوب منك أيها المؤمن أن تبدأ بمن تعول، تنفق على نفسك وأهلك بحيث تحفظ لهم الكرامة الإنسانية فلا يحتاجون إلى أحد ولا يهانون من أجل أن يحققوا أصول حاجاتهم. واعلم أن احتسابك في هذا يسبب الأجر، أنت لا تريد الإسراف نعم، لكن أنفق ولا تبخل عليهم، هذا يقال للرجل الذي هو المسؤول، وإن كانت المرأة ذات سعة، تُنصح المرأة بأن تتقرب على الله بالنفقة على الأبناء وعلى الخدم وعلى الزوج إن كان محتاجًا أو كان بخيلًا فبعض النساء يُبتلون بأزواج بخلاء ويضيقون على المرأة لأجل أن تنفق، يرى أن عندها راتب فيطمع بها ويرى

أنه أولى بهذا الراتب لأنها تضيعه فيما لا يستحق، فهي في هذا الموقف تنفق وتسد الثغرات، تجعله يتحمل مسؤولية البيت لكن لا تشاحه.

مثلًا: في الواقع نفترض أنها في نهاية كل شهر تكتب قائمة بالحاجات فيخاصمها فتهوّن عليه الأمر وتقول: المتيسر إيت به الله يوسع عليك. ثم هي تسد الثغرات التي يراها من باب زائد، وتحتسب على الله أن تفعله، قد تقول لك: هو أول من يأكل منه! فنقول: بالعافية عليه، تعتبر نفسها تصدقت وهو عندما يحتسب يأخذ الأجر في إطعامك، لكن مع الأسف الشديد نكون مصلين وطائعين وعند مواقف معينة لا نحتسب الأجر فيضيع علينا العمل ويدخل لنا الشيطان، والشيطان لا يدخل إلا من باب الأموال - نعوذ بالله- نسأل الله أن لا يطمعنا في الدنيا.

يأتي الترتيب أن تبدأ في النفقة والتوسيع على من تعول ولا تستخسرها فيهم أبدًا وكل هذا بعيدًا عن الإسراف، أنتِ امرأة رزقك الله بالحكمة فاعملي ميزانية أسبوعية ورتبي أمورك بحيث أن لا يضغط عليكِ الأبناء ضغطًا يُفسد عليك الحياة، ولا في نفس الوقت غيرهم يأكل ويشرب ويتمتع بما هو معروف عند الناس وهم لا يعرفون هذه الأشياء، ولا تُبلي نفسك بالشح، استحي من الله أن تشحي على من تعولين، وكل هذا في الأمور التي من المعروف أنه يحصل لمثلهم.

إذا ربنا وسع عليك؛ ادخلي على هؤلاء بهدية وعلى هؤلاء بصلة وارفعي عن بعض عائلتك الذين عندهم ضعف في شيء من الدنيا، على استحياء تكلمي مع قريبتك وخذي رقم فاتورة الكهرباء وادفعيها كل شهر عنهم وسدي الأشياء التي تستطيعين سدها ولا تعيشين لنفسك بل كوني سببًا للبركة على نفسك، بأن ينسأ لك في أثرك فتبقى لك الذاكرة الحسنة وليس للإنسان إلا الذاكرة، بمعنى أن كل شيء يذهب ويبقى تحت التراب ويبقى ما أنفق مذكورًا عند الله وعند الخلق.

هناك فرق كبير بين من يعيش ليُعيِّش الخلق بما رزقه الله وبين من يعيش ليُكبر رصيده، لو عرفت أثر الفرق الكبير بين هذا وهذا ما اخترت لنفسك إلا ما يحب الله، وأعطِ الأبعد وناول، وهذه كلمة في الأثر لا بد من ورائها أن تذرف عيناك إن كنت تفهم

معنى الرحمة فـ (ناول) ما فيها حاسب، ولا كم بقي لي! إنما مثلما قال ابن عمر، ناول، ويدك الممدودة سيملؤها الله وقلبك سيكون وعاء للإيمان، وكثير من الخلق ما ثبتوا على طريق الحق إلا بـ(ناول) هذه، فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن يملأ قلوبنا إيمانًا ويرزقنا بما ننفق به نفقة من لا يخشى الفقر، وقد جاء أعرابي إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فرأى هذا الإيمان الذي يجعله ينفق -صلّى الله عليه وسلّم- فعاد إلى أهله ووصف النبي بصفات ثم قال: (ينفق نفقة من لا يخشى الفقر)، إنما واثق بما عند الله، وما عند الله خير للأبرار، والأبرار أعظم برهم وصلهم، فناول ولا تتحرج.

وفي هذا المقام نذكر بالآباء والأمهات الذين قضوا وذهبوا إلى ربهم أن تُحسن إليهم فتجعل لهم من خاصة شأنك ومالك ما يجري عليهم فأطعم لهم وتصدق عنهم، والأمور أيسر ما تكون، فكل إنسان وسع عليه يوسع عليهم، ناول، كل أحد وسع عليه يوسع على غيره، إن وسع لك في العلم أو في المال أو في الدار فوسع على غيرك وليكن التراحم هو شعار أهل الإسلام، ولا تظن هذا دربًا من الخيال فإن من جعل في قلبه الرحمة يستحي أن يتمتع ولا يتمتع غيره، نحن لا نستطيع رد فضل الله فالله قد قدر لكل شخص رزقه لكننا نتقرب إلى الله بما رزقنا -فالحمد لله- على هذه الشريعة العظيمة.

فِقهُ الحديث:

١) إنفاق الإنسان على نفسه وأولاده وعلى من يعولهم احتسابًا الأجرَ من الله سبحانه وامتثالًا لأمره يكون سببًا للخير والثواب والجزاء الحسن.

٢) الحث على تقديم الأقارب في الصدقة حسب درجاتهم في القرابة، أي: الأقرب فالأقرب.

٣) إن الصدقة على الأقارب أفضل منها على الأجانب.

## ٣١- بَابُ لا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ

٦٣- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ ابْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو إِدَامٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ابْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولُ: عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (إِنَّ الرَّحْمَةَ لاَ تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ).

### شرحُ الكلمات:

- الرحمة: يحتمل أن يراد بالرحمة المطر، وأنه يحبس عن الناس عمومًا بشؤم التقاطع.
- قوم: ذكر الطيبي: يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه.

هذا الحديث ضعيف جدًا، وخصوصًا لو فُهم بالمعنى العام؛ أن قاطع رحم بيننا لا تنزل علينا الرحمة، لكن المفهُوم على التخصيص يُمكن أن يُقبل، بمعنى: أن قوم يحرضون على قطيعة الرحم فالقاطع تُحبس عنه الرحمة ومن يعينه تُحبس عنه الرحمة، فإذا فُهم بهذا المعنى إن شاء الله فالمعنى صحيح.

### فِقهُ الحديث:

١) عدم نزول الرحمة على قاطع الرحم.

٢) إن قطع الرحم يسبب الجفاف وقطع الأرزاق وهلاك الأمة.

من المعنى الأساسي، حتى لو كان الحديث ضعيفًا، إذا أنت قطعت الرحم فمعناه ذبل فيك التراحم، والمطر من رحمة الله فمنع عنك رحمة الله التي من ورائها كل خير.

## ٣٢- بَابُ إِثْمِ قَاطِعِ الرَّحِمِ

٦٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَقِيلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ جُبَيْرَ ابْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ).

فِقهُ الحديث:

١) عِظم إثم قاطعها بحيث لا يدخل الجنة. قال النووي وغيره: إن عدم دخول الجنة يُحمل تارة على من يستحل القطيعة، وأخرى على أنه لا يدخلها مع السابقين.

المعنى واضح، لكن هل نفي دخول الجنة لموحد بسبب قطيعة الرحم أمر سيبقى دائمًا، يكون مصيره إلى النار؟

من معانيها، كما ذكر النووي أن هذا عمل يجعله معرضًا لدخول النار فلا يدخل الجنة مع السبعين ألفًا ولا من بعدهم الذين سيحاسبون حسابًا يسيرًا، ولا من الشفاعة تمنعهم من دخول النار. سيدخل مع من يخرج مؤخرًا من النار فيدخل الجنة؛ لذلك هذا أمر عظيم أن يكون بهذه الطريقة، أو يكون المعنى أنه لولا التوحيد لمنع قاطع الرحم تمامًا من دخول الجنة.

٦٥- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ ابْنُ مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ ابْنَ كَعْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، تَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنِّي ظُلِمْتُ، يَا رَبِّ! إِنِّي قُطِعْتُ، يَا رَبِّ! إِنِّي إِنِّي، (يَا رَبِّ! يَا رَبِّ.!). فَيُجِيبُهَا: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ)؟.

شرحُ الكلمات:

- إنّي إنّي: أي تعدُّ أنواع الظلم والقطعية التي عوملت بها.

هذا الحديث سبق شرحه وبيانه وهو أيضًا يشير إلى أثر قطيعة الرحم، كما أن لوصل الرحم فضل فكذلك لقطيعة الرحم أثر عظيم، فالله يقطع من قطع الرحم ويصل من وصل الرحم.

٦٦- حَدَّثَنَا آدَمُ ابْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنُ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَعَوَّذُ مِنْ إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ وَالسُّفَهَاءِ. فَقَالَ سَعِيدُ ابْنُ سَمْعَانَ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَسَنَةَ الْجُهَنِيُّ أَنَّهُ قَالَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: مَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ تُقْطَعَ الأَرْحَامُ، وَيُطَاعَ الْمُغْوِي، وَيُعْصَى الْمُرْشِدُ).

شرحُ الكلمات:

- الصبي: الصغير دون الغلام.
- السفيه: خفيف العقل وسخيف الرأي.
- المغوي: المُضِلُّ.

فِقهُ الحديث:

١) المنع والنهي عن قطع الرحم وإطاعة المُضِلّ وعصيان المُرشِد.

هذا خبر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو يتعوذ من إمارة الصبيان والسفهاء، وقد أورد البخاري أوضح من ذلك في كتاب الفتن أحاديث تدل على موقف أبو هريرة -رضي الله عنه- ودعائه وتعوذه.

وقد ذكر في هذه الأحاديث أنه -رضي الله عنه- أخبر أن له في العلم وعاءان، وعاء بلغه ووعاء إن بلغ به قطعت رقبته، وهي أخبار غيبية عما يحصل من فساد وكيف يتحول الأمر من إمارة إلى ملك ومن ثم يأتي زمن يتولى فيه الصبيان والسفهاء، وهذا كان يتعوذ منه أبو هريرة -رضي الله عنه- وقد مات قبل أن يحصل هذا الأمر لكن بدأت بداياته في زمنه، فطلبوا منه أن يفهمهم ما تكون تلك الحال فقال: (أَنْ تُقْطَعَ الأَرْحَامُ) وهذا أول أمر، بمعنى أنه تختلط عند الناس موازين الحياة، فبدلًا من أن تكون الجهود في وصل الأرحام تكون في قطعها، وبدلًا من أن تكون الطاعة للمرشد تكون المعصية له وتكون الطاعة للمغوي، نعوذ بالله من تلك الحال نسأل الله بمنه وكرمه أن يتقبل منا جميعًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء الثّامن عشر

الثلاثاء: ٢٨ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن وصل رحمه وأخلص في هذا الوصل وبدأ بوصل والديه أحياءً كانوا أو أمواتًا، قريبين كانوا أو بعيدين، نسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل أعمالنا خالصة وأن ينفعنا بهذه الأعمال.

كنا قد وصلنا إلى الباب الثالث والثلاثون:

## ٣٣- بَابُ عُقُوبَةِ قَاطِعِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا

٦٧- حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ).

فِقهُ الحديث:

١) مضى شرحه ضمن شرح الحديث رقم/٢٩ في باب: عقوبة عقوق الوالدين.

صلة الأرحام فيها أولويات وأولى الأولويات: بر الوالدين، والوالدين من الأرحام، عقوق الوالدين أو قطيعة الرحم ذنب يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا.

عقوق الوالدين أعظم قطيعة في الرحم، الإنسان الذي يعق والديه يكون أكثر الناس شقاءً في الدنيا مهما ظن أنه في حالة سعادة بمخالفة والديه؛ لأنه في البداية يسري هذا الأمر في نفوس الناس أن طاعة الوالدين نوع من أنواع قهر الإنسان وضعف

الشخصية، وأن التحرر من طاعتهما نوع من أنواع انتفاعه بشخصيته وانتفاعه بالفرص، ولا يدري أنه بعد قليل سيرى آثار هذا الذنب.

وطبعًا هنا عندما لا يأمر الوالدين بمنكر أو بما يخالف الطبيعة الإنسانية مثل: أن لا يأكل ويشرب أو يعطيهما كل ماله فيهلك! وقد وجد مؤخرًا أمور ما كان ينتظرها الإنسان أن تظهر في مجتمعه لكنها واقعة، ومن ذلك ما بلغ من أحد الأمهات أنها وجدت ابنتها متغيرة عليها بعد أن كانت مطيعة، فوجدت ابنتها مشتركة في مجموعة نسوية تسمي نفسها باسم خدّاع وتصف سلطة الوالدين أنها نرجسية وتحرض الفتيات على الخروج على أهلهم واستقرار الفتيات في منزل خاص بهم! وهذه المجموعة تستقطب الفتيات عن طريق مشاركة بث مشاعرهم ضد الأب أو الأم أو الإخوة، وتفسر ما يقوم به الوالدين أو أحد أفراد العائلة مع هذه الفتاة أنه عنف وحقد وحسد وظلم وأنه ليس معهم حق، ويسايرونهم إلى درجة أنهم يطلبون منها أن تحافظ على أورادها وأن تقرأ سورة البقرة وتدعو حتى يشعرونها أن ما تقوم به صواب وأنه إلهام من الله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهذه جريمة في حق مجتمعنا لا بد من التنبه لأولادنا وبناتنا من مثل هذه الأمور، ولا بد من التذكير لكل أحد أن قطيعة الرحم التي أولها: عقوق الوالدين. جريمة عظيمة، وكذلك: البغي. جريمة عظيمة، ونحن نقف في موقف ينظر للجريمتين معًا، إذا كان الوالدين يمارسون النرجسية على أبنائهم ويظلمونهم فيقال لهم: إن الله حذر من الظلم في كتابه العزيز في أكثر من موضع، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- أكد على هذا التحذير في أحاديث كثيرة، فالظلم جريمة، لا تظلم أبناءك والبغي هو: الظلم والجور، وهذا لا يعني أنك تساير هواهم وتطاوعهم في كل ما يشتهون، المعني أن تجعل بينك وبينهم لغة حوار وتبين لهم لماذا أمرت؟ ولماذا منعت؟ ولماذا فعلت؟ ولا تكن سائرًا على هواك.

ومن جهة أخرى على الأبناء أن يحذروا من عقوق والديهم ويعلموا أنه ذنب يعاجل للإنسان بالعقوبة فيجد وحشة في قلبه وكدر في حياته وتعطيل لأموره ولا يجد شيء يسير كما ينبغي في حياته، هذا إذا قلنا إن قطيعة الرحم تبدأ بالوالدين، لكنها ليست

فقط في الوالدين، لكن ذنب أولى بتعجيل العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة حتى بالنسبة لبقية الرحم، فقطيعة الإخوان والأخوات والخالات والعمّات جريمة، لكن بلّ الرحم ببلالها، لا تجعلها جافة، مكالمة من هنا ورسالة من هنا وهدية من هنا، شاركهم المواساة وشاركهم أحزانهم ما استطعت، نعوذ بالله أن نكون قاطعي الرحم ونسأل الله أن يرشدنا إلى أحسن حال في علاقتنا مع الخلق، لا تركب هواك، كن أيها المؤمن طائعًا لله وواصلًا لعباده، كن محسنًا في عبادة الله ومحسنًا إلى خلق الله. هذا الحديث فيه من التحذير من الظلم وقطع الرحم شيء كثير، وفيه حث على العدل وصلة الرحم، نسأل الله أن يعيننا على العدل ويعيننا على صلة الرحم.

ننتقل للباب الرابع والثلاثون:

## ٣٤- بَابُ لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ

٦٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، وَالْحَسَنِ ابْنِ عَمْرٍو، وَفِطْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو -قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعْهُ الأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ - صلّى الله عليه وسلّم- وَرَفَعَهُ الْحَسَنُ وَفِطْرٌ- عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا).

شرحُ الكلمات:

- الواصل: من يتفضل على صاحبه بمعروف، بل يعطي من منعه من معروفه.
- المكافئ: من يصل ولا يزيد على ما يأخذ.
- القاطع: الذي يُتفضل عليه وهو لا يتفضل.

هذا الحديث يدلنا على مكارم الأخلاق ويحضنا أن نصل من يقطعنا، فالمسلمون، كما يقول ابن تيمية: (من معالمهم أنهم يندبون إلى أن تصل من قطعك) الإسلام يحضّهم ويأمرهم أن يصلوا من يقطعهم، الدعاة يحضون الخلق ويرغبونهم أن يصلوا من قطعهم، فإن الذي يصل من قطعه فهو الواصل، وأما الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه فهذا الذي قام بالعدل ولم يصل إلى أن يكون واصلًا، فالواصل هو الذي يتفضل على غيره بالوصل، كما مر معنا في حديث: (تسفهم الملّ).

وقد أمر الله -عزّ وجلّ- أبا بكر -رضي الله عنه- وهو الصديق، أن يصل من أساء إلى ابنته العفيفة: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ} (النور: ٢٢)، هذه في قصة أبي بكر مع قريبه الذي قطعه وهو أساء إساءة عظيمة، فما بالك بالذي هو أدنى من ذلك، لنعلم أن كل خير في الصلة وكل شر في القطيعة، والمقصود أن يقع منا العفو عمّن ظلمنا أو قطعنا بظلم أو لمجرد هوى، وبذلك ترتفع عند رب العالمين وتكون واصل، أما المكافئ فقد عامل بالعدل، وعندما نعامل رب العالمين نقول: يا رب عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، فإن عاملتنا بعدلك هلكنا وإن عاملتنا بفضلك نجونا، ألا تريد النجاة وأن يعاملك الله بفضله؟ استعن بالله وتعامل بالفضل.

فِقهُ الحديث:

١) على المسلم أن يبدأ في صلة أرحامه ويستمر على ذلك، ولو لم يقابلوا صنيعه بإحسان.

أنت ابدأ وبادر ثم استمر، وأحب الأعمال أدومها وإن قلّ، فاستحضر هذا وداوم وقل: يا رب يسر لنا وصل أرحامنا بيسر وسهولة وفي عافية، اطلب من ربنا، وإذا كنت تطلب من ربنا أن يوسع عليك في أمور دنيوية فأولى بالطلب أن تطلب من ربنا أن يوسع عليك في وصل أرحامك.

٢) وجوب إخلاص الأعمال لله.

وجه هذا أن ليس الواصل بالمكافئ، فإذا وصلك ترد جميله؛ لذلك كثير من الناس يتبع هذا القانون حتى في الهدايا، يرزق بشيء طيب فيقول: في هذه المناسبة سأعطي فلان هذا. فيقول له أحدهم: هو ما أحضر لك إلا شيء بسيط في مناسبة كذا، والناس تطوروا وأصبحوا يكتبون بما أتى لهم فلان وعلان، وليس الواصل بالمكافئ، إنما إذا كان عندك رزق وسع على من تصله، انقل من سعتك لسعته، وإذا لم يكن عندي ما أصله به، فمن الشهامة والكرم أن تنتظر لحظة سعتك لتوسع عليه، وتتمنى أن الله يوسع عليك وتعطيه، فهذا الإخلاص، أن تصل من قطعك ولا تستعمل أسلوب ميزان العدالة، ليس هنا ميزان العدالة؛ لأن إذا كان الأمر لله فالذي يرضي ربنا نود أن نفعله.

٣) لا ينبغي للمسلم أن يقطع الخير بسبب الإساءة إليه أو عدم العودة إليه بمثله.

هذه تحتاج إلى تحرير في النفس، لا تقطع أي خير، وفي أمثالنا قطع العادة عداوة، تكون صاحب خير والناس كلهم متأملين منك خير، لا تأتي إلا وتحضر معك ثم تقطع فيجدوا في نفسهم شيئًا، تقول: ليس واجب علي، والناس تعودوا منك بسط اليد فلا تغيره أبدًا وافرح بالسعة ولو بسيطة لتوسع على غيرك، وهذا الأمر عندما يتسلسل في المجتمع ترى أمرًا عجيبًا، يأتي الأغنى مني يوسع عليّ، فآكل وأطعم جاري، وجاري أغنى من أحد فأعطاه وهكذا تتسلسل الأمور، تفرح بالعطية التي تأتيك لأنك ستوسع على فلان وعلان.

عندما تتغير هذه المشاعر في المجتمع فهذا إيذان بدخول فكر الرأسمالية المتوحش الذي يقول لك: فكر في نفسك لا في غيرك، لكن الإسلام فيه التراحمية التي تقول: عندما يوسع عليّ سأفرح بالسعة لأني سأدخل السرور على غيري، نعوذ بالله من استخدام العلم في الهوى، حتى في الكلام عن إدخال السرور على غيرك تستعمل على الصاحبات والذين يأتون على الهوى! تجدها تدخل السرور على زميلاتها الذين من المفترض أنهم كمجموعة يدخلون السرور على من يحتاج إلى إدخال السرور، أنتم استفيدوا من بعض في إدخال السرور على غيركم، لكن أصبح إدخال السرور على

الهوى، أدخل على هذا وهذا لا؛ لأنه لا يناسبني، لا بد أن تفهم معنى إدخال السرور، لا بد أن تعرف أن هناك جزاء عاجل سيأتيك، شيء في القلب يلقى لا يوصف من مشاعر السعادة لأنك ستدخل السرور على غيرك، حتى قبل أن تدخل على قلوبهم السرور ربنا يدخل على قلبك السرور.

فما أطيب التراحم، الراحمون يرحمهم الله، لا بد أن يعود مجتمعنا لما كان عليه من اليقين بأن الرحمن الرحيم يرحم الراحمين، اتركوا عنكم الأفكار الملوثة بالفكر الرأسمالي الوحشي وعودوا إلى هذا الدين الحنيف وقفوا على نصوصه ولا تجعلوا غيركم نائبًا عنكم في الرحمة، يتراحم المجتمع وتزول عنه وحشة الدنيا، وأنت لا تدخل سرور وأن تقصد وجه الله، إلا وتجازى عليه في الدنيا، في قبرك وقت الوحشة فتجد أنسًا، وهذه الوعود كلها مذكورة في كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم. فالشيطان يعدكم الفقر والله يعدكم مغفرة وفضلًا ولا بد من انتظارها، كم تفضل الله علينا بهذا الدين -سبحان ربنا العظيم- لا تقطع الخير واجعله لك شأنًا دائمًا تُعرف به إلى أن تموت واجعل من ورثتك من يرث عنك هذا الخير.

## ٣٥- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصِلُ ذَا الرَّحِمِ الظَّالِمَ

٦٩- حَدَّثَنَا مَالِكُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْسَجَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ أَقَصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمسألة، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ). قَالَ: أَوَ لَيْسَتَا وَاحِدًا؟ قَالَ: (لاَ، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَعْتِقَ النَّسَمَةَ، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ عَلَى الرَّقَبَةِ، وَالْمَنِيحَةُ الرَّغُوبُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ).

شرحُ الكلمات:

- لئن كنت أقصرت الخطبة، إلخ: معناه جئت بالخطبة قصيرة، والمسألة واسعة كثيرة.
- المنيحة: هي العطية.
- الرغوب: هي الناقة غزيرة اللبن، والمراد هنا: ناقة أو شاة يعطيها صاحبُها لينتفع بلبنها ووبرها ما دامت تَدِرُّ.
- الفيء على ذي الرحم: معناه: العطف عليه والرجوع إليه بالبر.

هذا من الأحاديث العجيبة، حيث أنه يشير إلى تفاصيل في مسألة التراحم، هذا أعرابي أتى للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- ومقصده أن يعرف الطريق إلى دخول الجنة وهذا مقصدنا كله، سؤاله قصير لكن تعرض لمسألة واسعة لا تُلم أطرافها، لكن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لمها للأعرابي الذي يُمكن أن ينقصه شيء من التراحم، بناءً على جفاء الأعراب، وإن كان رب العالمين قد أخبر، كما في سورة التوبة، عن أعراب ليس بهم جفاء لكن بهم إيمان وتقوى، لكن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- جعل هذا الطريق هو الذي يصل به وهو طريق التراحم -نعدها في هذا اللّقاء ونزيد بيانها في اللّقاء القادم- (أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ) لها علاقة بالخلق، وأمره أن يعطي المنيحة: العطية، وأمره بالفيء، وهذه كلها عبارة عن أمور فيها وصل بالخلق، فإن لم تطق فأطعم الجائع واسقِ الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، وهذه كلها لها صلة بالخلق، إلى أن نصل (فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ) نفس الأمر، هذا نوع من أنواع الصدقة على الخلق، أن تكفيهم شرك، فعُلم من ذلك أن بعد التوحيد وإقامة الصلاة التي هي العبوديات التي بين العبد وبين ربه، تأتي رحمة الخلق والإحسان إليهم كما هو مشار إليه في هذا الحديث. إن شاء الله في اللّقاء القادم نزيد في بيان هذا الأمر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# اللّقاء التّاسع عشر

الأربعاء: ٢٩ جماد أول ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ مستعينين بالله في الباب الخامس والثلاثون:

## ٣٥- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصِلُ ذَا الرَّحِمِ الظَّالِمَ

٦٩- حَدَّثَنَا مَالِكُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْسَجَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ أَقَصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمسألة، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ). قَالَ: أَوَ لَيْسَتَا وَاحِدًا؟ قَالَ: (لاَ، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَعْتِقَ النَّسَمَةَ، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ عَلَى الرَّقَبَةِ، وَالْمَنِيحَةُ الرَّغُوبُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ).

هذا الحديث -كما مر معنا في اللّقاء الماضي- أن الأعرابي سأل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وبيّن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عظم هذا الموضوع وإن كان السؤال قصيرًا فالجواب مليء بالمعاني، فوصف له النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الحل في حسن التعامل مع الخلق، فبدأ -صلّى الله عليه وسلّم- من مسألة مهمة وهي: مسألة عتق النسمة، وفك الرقبة، وهذا معناه الإحسان لهؤلاء الذين ابتلوا في حياتهم بالعبودية، فأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بكل شيء يُمكن أن يساعد في ذلك، فإذا تمكن من عتقها أعتقها، وإذا تمكن من المعاونة على فكها، فكها، فقال الرجل: (أَوَ لَيْسَتَا وَاحِدًا؟) يعني أن كلاهما عمل لنفس الأمر، قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (لا)، (عِتْقُ النَّسَمَةِ) أن تعتق نفسًا تملكها أو تشتريها فتعتقها، أما (فَكُّ الرَّقَبَةِ) : أن تُعين على فك الرقبة.

(وَالْمَنِيحَةُ) يُقصد بها أن يكون عندك ما يحلب مثل الناقة أو الشاة غزيرة اللبن فتعيرها لجارك أو قريبك المحتاج لينتفع بلبنها، وينتفع بوبرها وصوفها وتبقى أنت صاحبها لكنه ينتفع بها لزمن معين، فأنت لا ينقصك وينفعه، يكون عندك ما تشربه وعنده ما يشربه، واليوم فهناك طرق غير هذه.

الأمر الأول: تعطي النفس حريتها.

الأمر الثاني: هذه النفس أكرمها فأطعمها، وأنت الآن ما عندك أي شيء حلوب لكن حليبها موجود، فحين تريد إطعام أحد ابعث له لبنًا وحليبًا حتى مما يباع اليوم مبسترًا، المعنى أنه ينتفع من شيء أنت تملكه، لكن القضية فيها إطعام شيء مفيد يقوم به البدن، وهذا مما يقوم به البدن وينتفع به الصغير والكبير، وفي رواية أخرى: (والمَنْيحةُ الوَكوفُ) يعني: غزيرة اللبن، فكيف تعطي غزيرة اللبن لجارك لأجل أن يتمتع بما فيها من لبن.

الأمر الثالث: (وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ) والفيء هو: ما يؤخذ من العدو من متاع بغير حرب، وذي الرحم هم: الأقرباء.

فكيف يكون الفيء على ذي رحم؟

هنا يمكن أن نفهم فضل من يصل ذي الرحم الظالم؛ لأن هذا عنوان الباب، أولًا في لفظة في رواية أخرى فيها: (والمَنْيحةُ الوَكوفُ، والفَيءُ على ذي الرَّحِمِ الظَّالِمِ)، الفيء: ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب، فأنت عندك مال تهبه لأحد من قرابتك لكنه يكون قد ظلمك، فهل تطيق؟ إذا أردت الجنة فابذل جهدك في ذلك.

هنا لا يقال لكل أحد افعل هذا الفعل لأن ليس كل الناس تطيق مثل هذا لكن فليُعلم أن من يطيق فقد أُوتيَ خيرًا كثيرًا. (فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) على وجه العموم.

(فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ) ونحن موضوعنا صلة الرحم.

فِقهُ الحديث:

١) من الأعمال الموجبة للجنة: الإحسان الحسي والمعنوي إلى الأقارب بالعطف والرجوع إليهم بالبر والناقةِ كثيرة اللبن.

وهذا كله افعله مع أقربائك أولى من غيرهم.

ننقل إلى الباب التالي:

## ٣٦- بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ أَسْلَمَ

٧٠- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ ابْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ حَكِيمَ ابْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ مِنْ صِلَةٍ، وَعَتَاقَةٍ، وَصَدَقَةٍ، فَهَلْ لِي فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ حَكِيمٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ).

شرحُ الكلمات:

- أتحنث: أتعبد.
- أسلمت على ما سلف من خير: أي: اكتسبت طباعًا جميلة وأنت تنتفع بتلك الطباع في الإسلام وتكون تلك العادة تمهيدًا لك ومعونة على فعل الخير.

حكيم ابن حزام -رضي الله عنه- ابن خويلد القرشي الأسدي الذي يكون ابن أخ لخديجة -رضي الله عنها- ونلاحظ أنه كان يتحنّث، فهي عائلة اختارها الله لرسوله -سبحان الله- ومن العجائب أن حكيم ولد في جوف الكعبة، دخلت أمه الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل فأخذها الطلق فولدت حكيمًا بها، وقد كان من أشراف قريش

ووجوهها وكان من العلماء بأنساب قريش وأخبارها، ولما أسلم حكيم -رضي الله عنه- لوجاهته ومكانته أعطاه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- مئة بعير، عامله معاملة المؤلفة قلوبهم فحسن إسلامه، وقد أسلم في فتح مكة، وحضر حنين.

كل هذا الكلام نقوله لنتصور كيف تتأثّر النفسية بالإحسان، هو محسن فلما عامله النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالإحسان حسن إسلامه، وهو رجل بقي ستين عامًا في الجاهلية وستين عامًا في الإسلام، والآن يتبيّن لنا أنه ما صنع معروفًا في الجاهلية إلا وصنع في الإسلام مثله، وهو ممن حضر بدرًا مع الكفار وانهزموا فنجا، وكان عندما يجتهد في اليمين يقول: (والذي نجّاني يوم بدر).

لا بد أن نتصور أن هذا الرجل الذي كان يتحنّث بالصلة والإعتاق والصدقة له نفسية الخير التي سببت أن ينجو بها، فقد كان جوادًا، في سنة من السنوات كان معه مئة بدنة فأهداها ومئة عبد فأعتقهم، وأهدى ألف شاة.

عندما تقرأ تاريخه تعرف معنى: كيف يكون الإنسان يعيش على الإحسان، ونفعه الإحسان ونجاه الله يوم بدر ودخل الإسلام ومات محسنًا وبقيت سيرته هذه في الإحسان، والأعظم من كل هذا ما نسمعه في الحديث، ستون عامًا في الجاهلية وهو محسن.

من معاني قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذكر الشارح:

- أنك اكتسبت طباعًا جميلة وأنت تنتفع بتلك الطباع في الإسلام.
- وقيل إن معناه: أنك اكتسبت بذلك ثناءً جميلًا فهو باق عليك في الإسلام.
- وقيل إن معناها: أن الله هداك للإسلام، وهذا معنى عجيب -ذكره النووي في شرحه- أن الله هداك للإسلام ببركة ما سبق من الخير.

لذلك عندما نقرأ في سورة البقرة في قطع طمع المؤمنين في إيمان اليهود نجد صفاتهم الخسيسة، هذه الصفات النفسية الخسيسة التي يمارسونها منعتهم من الإيمان، أما حكيم فصفاته النفسية التي فيها صلة وعتاق وصدقة فتحت له باب الإسلام.

- وقيل إن معناها: أن تزداد حسناتك التي تفعلها بعد الإسلام.
- وهناك قول أقوى من هذا كله وهو أنه يؤجر بسبب إسلامه على ما فعل في الجاهلية.

الكافر إذا أسلم وحسن إسلامه يثاب على ما فعل من خير في حال كفره -كل هذه مذكورة- (أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ)، إذا أسلم وحسن إسلامه -فالحمد لله- وهذا القول اختاره الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- وذكر أنه من بركة الإسلام، إذا أسلم الكافر، فإن أعماله السيئة يمحوها الإسلام واستدل بقوله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} (الأنفال: ٣٨)، لكن أعماله الصالحة المتعدية تقبل منه بسبب إسلامه.

واستدل أيضًا بآية سورة البقرة: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (الآية: ٢١٧)، فكان الارتداد -والعياذ بالله- والموت على الكفر، الله يعيذنا ويحسن لنا الخواتيم ويثبتنا على الإسلام، كان الشرط أن يموت على الكفر لتحبط الأعمال، هذا والله أعلم أن هذا معناه.

أعمال الكافر لها ثلاثة أحوال:

- أعمال الخير في حال كفره لا تقبل لأنها مردودة: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} (التوبة: ٥٤).
- أعمال الخير بعد موته على الكفر لن تقيه من عذاب النار فهي حابطة.
- أعمال الخير إذا أسلم، وحسن إسلامه -هذا شرط- إن شاء الله يكتب له ما عمله من خير قبل الإسلام فضلًا من الله وهذا قول قوي جدًا وقد اختاره الشيخ محمد رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلمه وجزاه عنا خير الجزاء هو وعلمائنا والحمد لله على العلم، العلم نور!

عندما نسمع عن سيرة حكيم ابن حزام -رضي الله عنه- نرى كيف أنه صارت سجيته أعمال البر وأنه بعد الإسلام لم يترك شيء صنعه في الجاهلية إلا صنعه في الإسلام،

وهذه لا يستطيعها إلا واحد أصبح مشغولًا بهذه الأمور، بالصلة والصدقة ويبحث عن أي شيء يفتح له هذا الباب وهذا من الهمة العالية التي نحتاجها لنسابق للآخرة، وبهذا أنت تبقى دائمًا متوثبًا، ترى أعمال الخير كأنها صيدة.

هناك أخت ربنا موسع عليها وخدمها يضعون طعامًا في كيس ويربطونه وكلما رأى سائقها عامل نظافة هدأ السيارة وأعطاه، لم يرد أن يذهب وقت الإفطار، كيف لا تذهب على الإنسان ولا فكرة، يرى مواطن الصدقة كأنها صيدة فيتوثب دائمًا لها وتجده كلما اخترع شيئًا مما يسهل عملية الصدقة أتى به، نسأل الله أن يملأ قلوبنا يقينًا ويملأ أكفّنا بما ننفقه في سبيله ويرزقنا الهمة.

فِقهُ الحديث:

١) إن الكافر إذا فَعل أفعالًا جميلة ثم أسلم ومات عليها يجمع له ثواب الحسنات في الكفر تفضُّلًا من الله تعالى.

الشارح في شرح الكلمات اختار القول الذي ذكره النووي وابن حجر -رحمهما الله- وفي فقه الحديث اختار قول الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله.

## ٣٧- بَابُ صِلَةِ ذِي الرَّحِمِ الْمُشْرِكِ وَالْهَدِيَّةِ

٧١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: رَأَى عُمَرُ حُلَّةً سِيَرَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلِلْوُفُودِ إِذَا أَتَوْكَ. فَقَالَ: (يَا عُمَرُ! إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ). ثُمَّ أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- مِنْهَا حُلَلٌ، فَأَهْدَى إِلَى عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! بَعَثْتَ إِلَيَّ هَذِهِ، وَقَدْ سَمِعْتُكَ قُلْتَ فِيهَا مَا

قُلْتَ! قَالَ: (إِنِّي لَمْ أُهْدِهَا لَكَ لِتَلْبَسَهَا، إِنَّمَا أَهْدَيْتُهَا إِلَيْكَ لِتَبِيعَهَا أَوْ لِتَكْسُوَهَا). فَأَهْدَاهَا عُمَرُ لأَخٍ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مُشْرِكٍ.

مر معنا شرح الحديث سابقًا، وهنا استدل به لبيان أن صلة الرحم تكون حتى للمشرك ويهدى هدية ويرغب في وصله لإسلامه، هذا إذا لم يكن محاربًا أما إذا كان محاربًا فالأمر مختلف، وهكذا الصدقة، إذا كان هناك نصارى ويهود نخالطهم، يعتبرون في حياتنا كالجيران أو معاهدين مثل بعض الديار الإسلامية، هناك من سكان الديار نفسها نصارى أو يهود هم نفسهم لا يحاربوننا فهؤلاء حتى الصدقة تجوز عليهم من باب الشفقة، وهذا واضح في سورة البقرة.

## ٣٨- بَابُ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ

٧٢- حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَتَّابُ ابْنُ بَشِيرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ؛ أَنَّ جُبَيْرَ ابْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: (تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ عَنِ انْتِهَاكِهِ).

شرحُ الكلمات:

- أنسابكم: من جهة الأب والأم والفروع والأصول والصهرية، أي: تعلَّموا مقدار ما تعرفون به أقاربكم لتصلوهم.
- داخلة الرحم: علاقة القرابة.
- لأوزعه: كفّه ومنعه.

- انتهاكه: نقضه لعهد الله.

هذا الكلام من عمر -رضي الله عنه- للدلالة على الطريقة اليسيرة لصلة الأرحام، فصلة الأرحام من أفضل الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، والله أمر بها وحذر من قطعها وجعل قطعها موجبًا للعذاب وجعل وصلها موجبًا للثواب، ففي هذا يقول عمر: (تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ)، وقد روي مرفوعًا إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهنا موقوفًا إلى عمر، تعلموا أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وسائر أقاربكم؛ لذلك من الضروري أن يعرف هو منسوب لمن؟ من جهة الفصيلة والفخذ والبطن والعشيرة، هذا ليس فيه -كما يظن البعض- نوع من أنواع التعصب، إنما هذا فيه وصل؛ لذلك أنت الآن عليك أن تعرف أن الأنساب فيها حتى توارث صفات.

كنا نقول عن حكيم ابن حزام -رضي الله عنه- وهو ابن أخ لخديجة -رضي الله عنها- فهي عائلة ذات مكارم، كان حكيم ابن حزام يتحنّث في الجاهلية، وهذا شيء طبيعي أن ترى شابًا أو شابة يتصرف بكل لباقة أو بكل شهامة تسأله فورًا، إذا تيسر لك السؤال، أنت ابن من؟ لا بد أن تكون هذه الشهامة موروثة من والدك ومن رباك.

من الطبيعي أن نعرف الأنساب حتى في الزواج يجب أن يكون التكافؤ من جهة الأنساب، وهذا لا نفهمه أنه شيء من التعصب إنما هذه خلقة الله، لا نغرق في الأنساب أو نباهي بها بل نتعلم القدر الذي يمكننا به أن نصل الأرحام ونشفق عليهم ونعرف أن هؤلاء أقرب لنا، فصلة الرحم محبة في الأهل وسبب للحب والود بين الأقارب، وفي الحديث الذي مر معنا أنها: مثراة للمال، سبب لكثرة المال، ومنسأة للأثر أيضًا، يأتي بالبركة والتوفيق للطاعات أيضًا وعمارة الأوقات بما ينفع، فمعرفة الأنساب تعين على صلة الرحم، ونعرف الأنساب من جهة الوالد ومن جهة الوالدة، نعرف هؤلاء وهؤلاء فنبقى نصل الرحم.

تصو...والمجتمع المدني يكبر، ثم نفترض أن هؤلاء يحصل بينهم نزاع في الطريق، مثل حادث خفيف أو مشكلة بسيطة أو كبيرة، ونزل ينازعه ولا يعرف من هو وهو من أبناء

عمومته فيمنعه أنه يعرف أنه من أبناء عمومته، أو من أصهاره؛ لذا عمر -رضي الله عنه- بهذه الفطنة يقول لمنعه من نقض عهد الله ومن إيذاء الرحم، أما من يعرف رحمه ويؤذيهم فهذه قضية أخرى.

فِقهُ الأثر:

١) الحث على معرفة الأقارب حتى يسهل له بالإحسان إليهم.

٢) إن معرفة القرابة تمنع عن القطيعة والمعاملة السيئة.

٧٣- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ابْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ ابْنُ سَعِيدِ ابْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يُحَدِّثُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: (احْفَظُوا أَنْسَابَكُمْ، تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لاَ بُعْدَ بِالرَّحِمِ إِذَا قَرُبَتْ، وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً، وَلاَ قُرْبَ بِهَا إِذَا بَعُدَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا، تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةٍ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا).

كلام ابن عباس يدل على أنه لا يصح أن تقول لي: أنا لا أعرف أنهم أقاربي! هذا ليس بعذر فيوم القيامة ستأتي الرحم وتشهد أنك ما وصلتها، لكن بمجرد أن تعرف أن هذا رحم فالمفترض أنك من طبيعتك أن تقترب منهم، أما جهلك بأنسابك فهذا يسبب قطيعة الرحم.

فِقهُ الأثر:

١) معرفة الأنساب مدعاة إلى صلة الأرحام.

نستفيد من الأنساب في ذلك وليس في التفاخر فلا بد من التوازن.

٢) الرحم هي مغناطيسية تقرب العلاقة البعيدة، وكذلك الإنسان القريب يكون بعيدًا إذا لم تكن بينهما قربة.

المسألة يجب أن تكون مرتبة بالأولويات كما أمر الله تعالى وكما خلق الناس على هذه الحالة، كل هذا الكلام نتكلم فيه عن المسلمين الذين يوافقونك في دينك أما مسلم وكافر فتنقلب القرابة إلى عداوة، إنما هذا الكلام عن جماعة المسلمين.

٣) الرحم تنطق وتشهد للواصل وعلى القاطع يوم القيامة.

هذا كما مر معنا سابقًا.

والحمد لله رب العالمين.

# اللّقاء العشرون

الأحد: ٣جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا أهل الصراط المستقيم الذين ساروا خلف نبيهم الكريم، فوصلوا إلى جنات النعيم -اللهم آمين-.

نبدأ متوكلين على الله في قراءة الباب التاسع والثلاثون من كتاب: (الادَب المُفرَد) للبخاري -رحمه الله-:

## ٣٩- بَابُ هَلْ يَقُولُ الْمَوْلَى: إِنِّي مِنْ فُلانٍ؟

٧٤- حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ابْنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَائِلُ ابْنُ دَاوُدَ اللَّيْثِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ ابْنُ عُمَرَ: (مِمَّنْ أَنْتَ؟) قُلْتُ: مِنْ تَيْمِ تَمِيمٍ، قَالَ: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ مِنْ مَوَالِيهِمْ؟) قُلْتُ: مِنْ مَوَالِيهِمْ، قَالَ: (فَهَلاَّ قُلْتَ: مِنْ مَوَالِيهِمْ إِذًا)؟.

### شرحُ الكلمات:

- المولى: المعتِق والمعتَق والمراد هنا الثاني.

### فِقهُ الأثر:

١) لا يصح للمولى أن ينسب نفسه إلى قبيلة معتقه مباشرة ويخفي صفته الأصلية.

بناءً على ما مر معنا في كون أن المطلوب منا معرفة أنسابنا لأجل أن نصل أرحامنا، وهذا أمر مهم وقد بيّنا أن ليس المقصود بذلك التفاخر المذموم شرعًا، وإنما المقصود بذلك أن يكون الإنسان على معرفة من يصل من أرحامه، فإن الشرط للوصل: المعرفة،

فهمنا هذا والآن يزيد في هذا الباب بيان لهذا المعنى: أن المطلوب أن يكون الإنسان معروف النسب.

وفي هذا الأمر فارق كبير بين أهل الإسلام والعرب خاصة، وأهل الكفر والروم خاصة، -الروم: أوروبا- وغيرها، لا يهتمون بالأنساب لأنهم قوم اختلطت أنسابهم ليس بسبب اختلاطهم بالناس مثل العرب لما كثرت فتوحاتهم، وإنما اختلطت -أعاذنا الله- بسبب الزنا، المولود لا يعرف هو مولود لمن؟! من والده؟ وما نسبه؟ وربما ما عرف أيضًا من والدته؟ ووصل الحال بهم -الله يحفظنا ويحفظ ذرياتنا- كما أن هناك أكياس للقمامة هناك أكياس للمواليد يرمونهم فيها، بحيث لو أراد أحد أن يحصل على طفل يأخذه، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في هذا الأثر موقف بين عبد الله ابن عمر وبين هذا الرجل الذي سيأتي الكلام عنه - هنا نختصر وفي الباب الذي يليه نزيد الأمر وضوحًا- عبد الله ابن عمر كان يسأل عبد الرحمن ابن أبي حبيب، سؤال: (مِمَّنْ أَنْتَ؟) ليس فيه غضاضة، لا مانع منه ما دام لا يقصد به التفاخر، قال: (مِنْ تَيْمِ تَمِيمٍ) وهو إشارة إلى قبيلة معروفة وإلى فخذ فيها، أكيد أن ابن عمر رآه بملامح معينة لذا سأله: أنت (مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟) بمعنى أنه من نسلهم،(أَوْ مِنْ مَوَالِيهِمْ؟) يعني الذين هم العبيد سواءً تحرروا أو لم يتحرروا، يصبحون ليسوا منهم من جهة الأنساب التي جعلها الله -عزّ وجلّ- أرحامًا، ومنهم من جهة الولاية - وسيأتينا هذا الكلام إن شاء الله أكثر تفصيلًا فيما بعد- وهذا ليس تنقيصًا في الموالي، لكن لا زلنا نتكلم عن الأرحام الذين يرثون والذين علينا وصلهم والذين لا يجوز قطعهم، والذين هم يعتبرون عند الله في الخلقة بعضهم من بعض، فأجاب عبد الرحمن: (مِنْ مَوَالِيهِمْ) فظهر عتب ابن عمر، أن لا تقل: أنا من بني كذا. بل قل: أنا من موالي كذا، معنى ذلك كان من المفترض أن يبيّن أنه من الموالي؛ لذلك في فقه الأثر لا يصح للمولى أن ينسب نفسه إلى قبيلة معتقه مباشرة ويخفي صفته الأصلية؛ لأن في هذا قرارات كثيرة متصلة بالحسب والنسب.

سيأتينا ما يطرد التفكير الشيطاني في مسألة أن الدين طبقي ويفرق بين الناس ولا يساوي.

## ٤٠- بَابُ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

٧٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ عُثْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ عُبَيْدٍ، عَنْ رِفَاعَةَ ابْنِ رَافِعٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اجْمَعْ لِي قَوْمَكَ)، فَجَمَعَهُمْ، فَلَمَّا حَضَرُوا بَابَ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: قَدْ جَمَعْتُ لَكَ قَوْمِي، فَسَمِعَ ذَلِكَ الأَنْصَارُ فَقَالُوا: قَدْ نَزَلَ فِي قُرَيْشٍ الْوَحْيُ، فَجَاءَ الْمُسْتَمِعُ وَالنَّاظِرُ مَا يُقَالُ لَهُمْ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَقَالَ: (هَلْ فِيكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ؟). قَالُوا: نَعَمْ؛ فِينَا حَلِيفُنَا وَابْنُ أُخْتِنَا وَمَوَالِينَا، قَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (حَلِيفُنَا مِنَّا، وَابْنُ أُخْتِنَا مِنَّا، وَمَوَالِينَا مِنَّا، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ: إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ، فَإِنْ كُنْتُمْ أُولَئِكَ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَانْظُرُوا، لاَ يَأْتِي النَّاسُ بِالأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَأْتُونَ بِالأَثْقَالِ، فَيُعْرَضَ عَنْكُمْ). ثُمَّ نَادَى فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! -وَرَفَعَ يَدَيْهِ يَضَعُهُمَا عَلَى رُءُوسِ قُرَيْشٍ- أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ أَمَانَةٍ، مَنْ بَغَى بِهِمْ -قَالَ زُهَيْرٌ: أَظُنُّهُ قَالَ: الْعَوَاثِرَ- كَبَّهُ اللَّهُ لِمِنْخِرَيْهِ) يَقُولُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

شرحُ الكلمات:

- العواثر: جمع عاثور وهو المكان الوعث الخشن لأنه يعثر فيه.
- كبَّه الله لِمِنْخَرَيْهِ: أي: ألقاه منكوسًا على وجهه يعني أذلّه واهانه.

فِقهُ الحديث:

١) إن الإنسان ليكرم ويشرف بتقوى الله عزَّ وجلَّ، وأن من كان تقيًا كان كثيرَ الخير في الدنيا رفيع الدرجة والآخرة.

٢) فيه منقبة قريش وأنهم متصفون بالصدق والأمانة وجديرون بالأخوة والحب والولاء.

٣) يجوز للمولى المعتَق أن ينسب نفسه إلى القبيلة التي اهتمت بإعتاقه أو التي هو يعيش في كنفها وإشرافها مع بيان صفته الأصلية.

٤) التقوى أفضل من الحسب والنسب والجاه والمال.

نبدأ من أول الحديث، في الحديث أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال لعمر رضي الله عنه: (اجْمَعْ لِي قَوْمَكَ) فجمعهم، عرفوا أن الخبر في قريش، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة، يريد أن يجمع قريش من بين الناس الآخرين وهم الأنصار أو غيرهم؛ لأن المدينة دخل عليها الأعراب والناس من كل القبائل، لما قال: (اجْمَعْ لِي قَوْمَكَ) سيكون قومه قريش، فلما حضروا عند الباب وتجمهروا قال الأنصار: أكيد أن قريش نزل فيها شيء من الله، ولهم في ذلك السورة السابقة التي نزلت في قريش التي تذكر بنعم الله عليهم، فجاء المستمع والناظر يريدون أن يعرفوا ما يقال لهم، قال النبي هل فيكم غير قبائل قريش؟

هنا الشاهد بالنسبة لنا في هذا الموطن، قالوا: (فِينَا حَلِيفُنَا وَابْنُ أُخْتِنَا وَمَوَالِينَا)، يعني أمّه قرشية ووالده غير قرشي والتحالفات التي كانت في ذاك الزمن درجة النسب وموالينا، فهم يعتبرون غيرهم، الموالي ليسوا منهم، قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يصحح لهم جوابهم أن الحليف وابن الأخت والموالي منا، هنا الشاهد. لكن نكمل بقية الحديث لزيادة البيان، الشاهد أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (وَمَوَالِينَا مِنَّا).

بقية الحديث فيه الخطاب لقريش، هذا النسب الشريف للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- إنما هو لقريش عامة، فلا بيت في قريش إلا للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- فيه

نسب والسبب أنهم كانوا محافظين على أنسابهم فيزوجون بعضهم من بعض، في النهاية الرجل منهم يجب أن يكون له نسب مع بيوت القبيلة كلها، هذه عمته وهذه خالته وهذا ولد عمه، وهكذا تتشعب المسألة فيحافظون على نسلهم وعلى عرقهم، وهذا الأمر أحد تعليلات -لو تركنا الكلام عن النسب الشريف- ما يراه العرب في الصين آنهم كأنهم نسخة واحدة لكثرة تشابههم، وأحد الأسباب أنهم قبيلتين مشهورة، محافظين على نسلهم، فيتناسلون من بعض لذا تبقى صفاتهم متوارثة لا تتغير أشكالهم ولا أحوالهم، فهي بهذه الطريقة.

هذا نسب شريف وهم مؤمنون، من جمعوا من أهل الإيمان لكن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أراد أن يبين لهم أن القضية ميزانها التقوى، فقال: إن أوليائه منهم المتقون وليس أهل النسب، ولو كنتم من أهل التقوى فأنتم من أوليائي وليس الأنساب، وهذا يقرر ويؤكد أن الأنساب معرفتها لإقامة الحقوق وليس للتفاخر والترفع.

أنت لا تلام في كونك تعرف كل أقربائك ونسبك ومن أين أنت؟ ومن هم أهل قرابتك؟ ويخصون بمزيد اهتمام لأن المسألة فيها حقوق، فلا نفقد التوازن لأن ضد هذا الأمر دعاوى أن معرفة الأنساب إنما نوع من أنواع الفخر بها وهذا ممنوع، وليس الممنوع معرفة الأنساب، يوم القيامة تنتفي الأنساب وتبقى العلاقة بالتقوى، لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة من غير نسب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وتأتون أنتم أصحاب النسب الشريف بالأثقال وهي الذنوب والمعاصي فيعرض عنكم.

أتى الأنصار وغيرهم من أجل أن يسمعوا ماذا ينزل في قريش، أشار -صلّى الله عليه وسلّم- إلى الجالسين من قريش، وفي كلامه مدح لقريش وكونهم أهل أمانة -وهذا ما نعتقده- أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ما اختار نبيه إلا من أفضل الأنساب، فقريش أهل أمانة، وفي رواية: (أهل صدق وأمانة)، وفي الحديث أيضًا من بغى بهم أن يعثروا وأن يسقطوا كبه الله لمنخريه، وهذا يشبه نص آخر: (من يُرِدْ هوانَ قريشٍ أهانَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ)[٥]، وعلى ذلك لما يقول أحد، وأنت تعرف عنه الصدق، أنه قرشي وهم أنساب،

(٥) حسّنه شعيب الأرناؤوط.

مثل الفرق بين أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- والنبي صلّى الله عليه وسلّم، الفرق بينهم في الأنساب في فصائلهم وفخوذهم وبطونهم، هناك فرق لكن في النهاية كلهم يعودون إلى قريش، ولا زال موجود من اسمه ابن صديق القريش فهؤلاء يقصدون النسبة إلى أبو بكر -رضي الله عنه- إذا كانوا صادقين في ذلك فتنطبق عليهم كل هذه الأحاديث: (إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ ، فَمَنْ بَغَى لَهُمُ الْعَوَاثِرَ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ)، فبهذا نفهم أن الأتقياء من قريش لهم خصوصية بسبب نسبتهم إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وآل البيت لهم نسبة أعلى، آل البيت خاصة من قريش.

فيصبح معنى ذلك أن قريش لسبب النسب الشريف ورفعة للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- خصوا بهذا، وآل بيت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خصوا بهذا، فهذه حقوق يجب القيام بها وتقوى الله فيها، ودائمًا مشكلتنا في عدم التوازن، فإما جماعة يتعاملون مع آل البيت بالغلو كالروافض، أو جماعة تتعدى على آل البيت كالنواصب، ومثل هذا مثل قريش، جماعة تصل إلى حد الغلو وجماعة تصل إلى حد الجفاء، وبداية حد الجفاء الإهمال للخصوصية، فتتعامل مع الناس مثل بعضهم، هم عند الله لهم حقوق ونحن نتكلم عن الحقوق، ولكن هذا ليس موضوعنا.

موضوعنا الرئيسي، كما ذكر في فقه الحديث أنه يجوز للمولى المعتَق أن ينسب نفسه إلى القبيلة التي اهتمت بإعتاقه أو التي هو يعيش في كنفها وإشرافها مع بيان صفته الأصلية، هذا هو الجمع بين هذا الحديث والحديث السابق، فهنا نفهم أن الشريعة ما غضت من مكانة الإنسان، إنما هذه حقوق لا بد من معرفة ذلك.

وقد ورد أن نافع ابن عبد الحارث لقي -عمر رضي الله عنه- بعسفان، وكان عمر قد استعمل نافع على مكة، فلما لقيه هناك قال: من استخلفت على الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزة -هذا لا يعرفه عمر- ومن أبزة؟، قال: رجل من موالينا، فقال عمر -رضي الله عنه- فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض، هناك صفات جعلته يستخلف. قال عمر -رضي الله عنه-:

(أَما إنَّ نَبِيَّكُمْ -صلّى الله عليه وسلّم- قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ) هذا هو الميزان.

عندما نأتي في تولية المناصب وفي وضع كل واحد في موضعه من جهة العمل ومن جهة الإجادة لا نقول هذا مولى وهذا قرشي، فتكون النتيجة أن الأكفأ لهذا العمل هو الذي يقبل في هذا المكان، وليس ذا الشرف والنسب، هذا أمر مفهوم -الحمد لله- يبقى علينا في هذا الموضوع مسألة: النكاح! هل مسألة النكاح تدخل مع الأمر الأول وهو: أنه لا بد أن يكون هناك نسب معروف، أو تدخل في المسألة الثانية: أننا نضع كل شيء في مكانه؟

مسألة النكاح فيها أنساب وصلات، ليست وظيفة تدخل بها وتخرج، وإنما وراءها أنساب، نقول: {إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: ١٣)، معنى ذلك أن الناس كلهم من أبوين؛ آدم وحواء، معنى ذلك أننا نعود كلنا إلى هذا الأمر، الصحيح في هذا الأمر باختصار أن التكافؤ بين الزوجين شرط صحيح، ويبقى بعد ذلك نقاش عند الفقهاء؛ هل يفسخ نكاح من لم يحصل في زواجهما كفاءة؟ هذا خلاف طويل والله أعلم بالصواب، لكن الأقرب للواقع أن عدم التكافؤ بين الزوجين في مسألة الأنساب ثغرة كبيرة وراءها مشاكل والله المستعان.

فهمنا من هذا كله أن الشريعة لا تأمرنا أبدًا بأن يكون هناك تفاخر في الأنساب، إنما تأمرنا بالمعرفة للأنساب وبنسبة أنفسنا للنسب الصحيح لأجل حقوق الأرحام.

نكون بهذا انتهينا من هذا الموضوع ونبتدئ إن شاء الله في اللّقاء القادم بموضوع جديد.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

# فهرس الجزء الثاني


اللّقاء الحادي عشر ..... ٣

٢٥- بَابُ وُجُوبِ وصِلَةِ الرَّحِمِ ..... ٤

اللّقاء الثّاني عشر ..... ٧

٢٦- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ ..... ١٢

اللّقاء الثّالث عشر ..... ١٧

اللّقاء الرّابع عشر ..... ٢٥

٢٧- بَابُ فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ..... ٢٦

اللّقاء الخامس عشر ..... ٣٤

اللّقاء السادس عشر ..... ٤٢

٢٨- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ ..... ٤٣

٢٩- بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَحَبَّهُ أَهْلُهُ ..... ٤٩

اللّقاء السابع عشر ..... ٥١

٣٠- بَابُ بِرِّ الأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ ..... ٥٢

٣١- بَابُ لا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ ..... ٥٩

٣٢- بَابُ إِثْمِ قَاطِعِ الرَّحِمِ ..... ٦٠

اللّقاء الثّامن عشر ..... ٦٣

٣٣- بَابُ عُقُوبَةِ قَاطِعِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا ..... ٦٤

٣٤- بَابُ لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ..... ٦٦

٣٥- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصِلُ ذَا الرَّحِمِ الظَّالِمَ ..... ٦٩

اللّقاء التّاسع عشر ..... ٧١

٣٥- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصِلُ ذَا الرَّحِمِ الظَّالِمَ ..... ٧٢

٣٦- بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ أَسْلَمَ ..... ٧٤

٣٧- بَابُ صِلَةِ ذِي الرَّحِمِ الْمُشْرِكِ وَالْهَدِيَّةِ ..... ٧٧

٣٨- بَابُ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ..... ٧٨

اللّقاء العشرون ..... ٨٢

٣٩- بَابُ هَلْ يَقُولُ الْمَوْلَى: إِنِّي مِنْ فُلانٍ؟ ..... ٨٣

٤٠- بَابُ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ..... ٨٥